وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ / الدراسات العليا

كتاب كنز الدُّرر وجامع الغرر لآبن أيبك الدُّواداريَّ (ت٧٣٦هـ) دراسة في منهجه وموارده عن العصر المملوكي

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

من قبل الطالبة

سما قاسم نجم

بإشراف

الأستاذ الدكتور

عبدالخالق خميس علي التميمي

١٤٤١هـ ٢٠٢٠م

المبحث الأول

عصر المؤلف

اولاً: الحياة السياسية

عاصر ابن أيبك الدواداري (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م) فترة سياسية نشطة حافلة بالأحداث في عصر سلطنة **المماليك**[١]عامة ، وعهد اسرة بني قلاوون خاصة، إذ انها تمثل حقبة تاريخية لها تأثيرها في مجريات الاحداث وثقافة المجتمع الذي نشأ وترعرع فيها من جهة، وأثرها على حياته الشخصية وثقافته واتجاهاته الفكرية في التأليف من جهة اخرى.

ومن المعروف ان المماليك الذي حكموا مصر وبلاد الشام للمدة (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، تعاقب على عرشها كثير من السلاطين الذين كان لهم

---

(١) **المماليك** : جمع كلمة المملوك وتعني العبد، كما يقال هو الذي مُلِكَ ولم يُملَك أبواه وهو ضد القِنّ الذي مُلِكَ هو وأبواه, ويقال القن المشترى ، ويقسم المؤرخين العرب عصر المماليك الى دولتين : الاولى دولة المماليك البحرية أو التركية (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠- ١٣٨٢م) ، وثانيها دولة المماليك البرجية أو الشراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م) ، وما يهمنا هي الدولة الاولى ، فهناك رأيان حول تسميتهم بالبحرية ، الأول: لكونهم جاءوا عن طريق البحر بواسطة التجار، وثانياً: لان السلطان صالح نجم الدين أيوب اسكنهم جزيرة الروضة في نهر النيل ، والرأيان الاصح والاقرب للواقع ؛الرازي ،محمد بن ابي بكر ابن عبد القادر (ت٦٦٦هـ /١٢٦٨م)، **مختار الصحاح** ، تح: يوسف الشيخ محمد ، ط٥ (صيدا :المكتبة العصرية،١٤٢٠هـ /١٩٩٩م)، ج١، ص٢٩٨ ؛ ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي (ت٧١١هـ /١٣١١م) ، **لسان العرب** ، ط٣(بيروت :دار صادر،١٤١٤هـ /١٩٩٣م)،ج١٠،ص٤٩٣؛ عاشور ،سعيد عبد الفتاح ، مقدمة تحقيق **كتاب كنز الدرر وجامع الغرر**،ج٧ (الدر المطلوب في اخبار ملوك بني ايوب) ،(القاهرة :المعهد الألماني بالقاهرة،١٣٩١هـ /١٩٧٢م) ،ص هـ؛ التميمي ،عبد الخالق خميس علي، **أهل الذمة ومؤسساتهم في دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ /١٢٥٠-١٣٨٢م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد: كلية الآداب ،١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م) ،ص٢٦.

الدور في تثبيت هذه السلطنة، ، وكانت الظروف التي سبقت مجيء المماليك وتوليهم حكم مصر، تمثل مرحلة مضطربة مليئة بالأحداث والنزاعات بين الأمراء الأيوبيين من جهة وظهور ايلخانات المغول وإسقاطهم بغداد عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) من جهة أخرى ، وقيام المماليك بتبني زعامة العالم الإسلامي والدفاع ودرء الخطر عنهم والانتصارات المتلاحقة لهم في المعارك ومنها[١] ، **عين جالوت**[٢]، كلها مجتمعة ساعدت على تثبيت حكم المماليك واستقرار دولتهم التي ستمرت اكثر من قرنين ونصف[٣].

وبعد أن تقلد عدد كبير من السلاطين المماليك حكم البلاد، جاء دور **الملك السعيد**[٤]،

---

(١)محمد علي، أفراح احمد جلال ، **الجوانب المالية في كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي (ت٨٢١هـ)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة ديالى: كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ص-ص١٣-١٤.

(٢) **عين جالوت :** هي بليدة بين بيسان ونابلس من فلسطين هي ، حصلت فيها إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي بين التتار بقيادة كتبغا والمماليك بقيادة سيف الدين قطز عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ، كان النصر فيها للمماليك واستطاعوا قتل أعداد كبيرة من التتار . المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر ابو العباس الحبشي العبيدي تقي الدين (ت٨٤٥ هـ /١٤٤١م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الاثار المعروف ب(الخطط المقريزية)**، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية ،١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج٣ ، ص٤١٤ ؛ الغزي ، كامل بن حسين، **نهر الذهب في تاريخ حلب** ، ط٢ (حلب : دار القلم ، ١٤١٩هـ) ، ج٣ ، ص١٣٥.

(٣) محمد علي، **الجوانب المالية في كتاب صبح الأعشى**، ص١٤.

(٤) **الملك السعيد:** هو السلطان ناصر الدين محمد بركة خان أبو المعالي بن السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس، الخامس من السلاطين الترك بالديار المصرية والشامية ، خرج عليه جماعة من الأمراء والمماليك، وسلطنوا أخاهُ سلامش . للاستزادة انظر: النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، ط١(بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ج٣٠، ص٢٣٦؛ ابن أيبك الدواداري ، ابو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، ج٨(الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)، تح: أولرخ هارمان ، (القاهرة: المعهد=

ليتولى السلطنة بعد وفاة والده **الظاهر بيبرس** [١] عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، ولكن لم يبقَ في السلطنة طويلاً بسبب تدخل الأمراء في شؤون الحكم، لذا أُجبر على خلع نفسه

=الألماني للآثار،١٣٩١هـ /١٩٧١م) ، ص٢١٩؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨هـ /١٣٤٧م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: بشار عوّاد معروف، ط١(بيروت: دار الغرب الإسلامي،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج١٥، ص٣٦٦؛ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت٧٧٤هـ /١٣٧٢م) ،**البداية والنهاية** ، تح : علي شيري ،ط١(بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج١٧، ص٥٦٢؛ ابن تغري بردي، يوسف بن عبدالله الظاهري أبو المحاسن جمال الدين(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، تح: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت)، ج٢، ص٣٥-٣٦؛ ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي (ت٩٣٠هـ /١٥٢٣م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تح: محمد مصطفى زيادة، ط٣، (مكة المكرمة: دار الباز، د.ت)، ج١، ص٣٤٢؛ الشافعي، أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي الهجراني الحضرمي (ت ٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، عني به: بو جمعة مكري وخالد زواري، ط١(جدة: دار المنهاج، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م)، ج٥، ص٣٦٦.

(١) **الظاهر بيبرس** : ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي وكنيته ابو الفتح ، وتسلطن بعد قتل الملك المظفر في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وكان أصله تركي الجنس اخذ من بلاده وتم بيعه بدمشق لعماد الصائغ ، ثم اشتراه منه الأمير علاء الدين البندقداري(وبه عُرِف). للاستزادة انظر: العباسي الصفدي ، الحسن بن أبي عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبدالكريم الهاشمي (ت بعد ٧١٧هـ /١٣١٧م) ، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك (يؤرخ من عصر الفراعنة والأنبياء حتى سنة ٧١٧هـ)** ، تح : عمر عبد السلام تدمري، ط١ (صيدا :المكتبة العصرية ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ،ص١٥٠ ؛ اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، **ذيل مرآة الزمان**، ط٢(القاهرة: دار الكتب الإسلامية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج٢، ص١؛ الدميري ،محمد بن موسى بن عيسى بن علي ابو البقاء كمال الدين(ت٨٠٨هـ /١٤٠٦م) ، **حياة الحيوان الكبرى**، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م) ،ج١، ص٣؛ المقريزي، **السلوك لمعرفة دولة الملوك** ، تحقيق :محمد عبد القادر عطا ،ط١(بيروت :دار الكتب العلمية ،١٤١٨هـ /١٩٩٧م)، ج٢، ص١٠٦؛ **الخطط**، ج٣،ص٨٧؛ ابن اياس ، بدائع الزهور=

مقابل اعطائه الكرك، فيما تولى السلطنة أخوه **بدر الدين سلامش**[١]، الملقب بالعادل عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م وجعلوا **سيف الدين قلاوون**[٢] أتابكاً له[٣]، ولكن الأخير تمكن

=،ج١،ص٣٠٨؛ حتي ، فيليب ،**العرب تاريخ موجز**، (بيروت: دار العلم للملايين،١٤١١هـ/١٩٩١م) ،ص-ص٢٥٣-٢٥٧؛ موير، وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، (القاهرة: مكتبة مدبولي ،١٤١٥هـ /١٩٩٥م) ،ص-ص٤٧-٦٠ .

(١) **بدر الدين سلامش:** هو السلطان العادل ابن السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي السادس من سلاطين دولة المماليك البحرية، تسلطن بعد خلع أخيه الملك السعيد من السلطنة وجعلوا اتابكه قلاوون الألفي ، وكان عمره يوم تسلطن سبع سنوات ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل عبدالله بن رشيد الدين السعيد المصري (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تح: مراد كامل، (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ص٥٧-٥٨ ؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص٨ ؛ النويري، نهاية الإرب، ج٣، ص٣٩٨ ؛ ابن أيبك الدواداري ، كنز الدرر، ج٨(الدرة الزكية) ،ص- ص٢٢٧-٢٣١ ؛المقريزي ،السلوك ،ج٢، ص١٢٠ ؛ ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت) ،ج٧ ،ص٢٦٩ ؛ مورد اللطافة ،ج٢،ص٣٧؛ التميمي، **أهل الذمة** ،ص٢٩.

(٢) **سيف الدين قلاوون** : هو السلطان سيف الدين قلاوون الألفي العلائي الصالحي، احد مماليك الأتراك البحرية ، كان قبجاقي الجنس من قبيلة مرج أغلى ،جلب صغيرا واشتراه الأمير علاء الدين أق سنقر الساقي العادلي بألف دينار ، واصبح بعد موته من مماليك الصالح نجم الدين الأيوبي، وبعد ذلك عين أتابكاً للسلطان سلامش ، ثم استقل بحكم البلاد . بيبرس الدوادار، ركن الدين المنصوري (ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تح: دونالد س. ريتشاردز، ط١(بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص١٧٤؛ ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر، ج٨(الدر الزكية) ،ص-ص٢٣١-٢٣٤؛ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن ابي الفوارس ابو حفص زين الدين المعري الكندي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، **تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف ب(تاريخ ابن الوردي)**، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٢٠ ؛ المقريزي ،الخطط ،ج٢؛ العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الملكي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تح: عادل أحمد الموجود وعلي محمد معوض، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج٤، ص٢٥.

(٣) **أتابكاً** : لفظة تركية مركبة من كلمة أتا بمعنى أب وكلمة بك بمعنى السيد او الأمير (ابو الاتراك)، وكانت تطلق في الاصل على مربي اولاد المملوك. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص١٨.

من خلع سلامش ونفيه إلى الكرك، وتولى قلاوون السلطنة بدلا منه للمدة (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)، وسار على نهج أسلافه فيما يخص سياسته اتجاه الصليبيين وقضائه على معظم الحركات والاضطرابات التي حدثت داخل مصر وبلاد الشام[١].

وما يلاحظ هنا هو تفرد قلاوون بين المماليك البحرية في أنه السلطان الوحيد الذي دامت السلطنة في ذريته أربعة أجيال واستطاعوا السيطرة على مصر والشام[٢] واستمر حكم هذه السلالة مائةً واثنين وثلاثين عاما ، اي حكمت طوال مدة وجود الأتراك المماليك البحرية، وعندما انتهى حكم هذه الأسرة انتهت معها هذه الدولة، فبعد وفاة قلاوون تولى ابنه **الأشرف خليل**[٣] من بعده للمدة (٦٨٩-٦٩٣هـ /١٢٩٠-

---

(١) للاستزادة انظر: العيني، بدر الدين محمود (٨٥٥هـ/١٤٥١م)، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد (شيخ المحمودي)**، تح: فهيم محمد علوي شلتوت، ط٢ (القاهرة: دار الكتب، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)،ص٢١٠؛ **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تح: محمد محمد أمين، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ج٢، ص-ص٢٢٥-٢٢٦ ؛ عبد القادر، خالد علي، **المماليك البحرية في مصر دراسة مجتمعية تاريخية (٦٤٧-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)**، ط١(القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص٤٥ .

(٢) التميمي ،أهل الذمة ،ص٢٩

(٣) **الأشرف خليل** : هو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي، تولى الحكم بعد موت والده ، واستفتح الملك بالجهاد واتجه نحو طرد بقايا الصليبيين في عكا وطهر الشام منهم ، وافتتح قلعة الروم وقلعة بهسنا (وهي اليوم من أعمال حلب)، الا أنه دفع حياته لتطلعات بعض الامراء في الاستحواذ على السلطنة ، وتوفرت لهم فرصة خروجه للصيد فتمكنوا من قتله عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م. للاستزادة انظر : ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج٨(الدرة الزكية) ،ص-ص٣٤٥- ٣٥ ؛ ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، **فوات الوفيات**، تح: إحسان عباس، ط١(بيروت: دار صادر،=

١٢٩٣م)، ثم تولى الأمير بدر الدين بيدرا السلطنة متلقباً **بالملك الأوحد او القاهر عام(٦٩٣هـ /١٢٩٣م)**[١]، ثم تسلطن محمد بن قلاوون ولقب بالناصر(٦٩٣-٦٩٤هـ /١٢٩٣-١٢٩٤م)[٢]، وتولى الحكم على ثلاث مراحل منفصلة تخللتها مدد حكم

=١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ج٤، ص٣٥؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تح : علي أبو زيد و أخرون، ط١ (بيروت : دار الفكر، ١٤١٨هـ /١٩٩٨م)، ج٥، ص٧٦؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٣،ص٣٧٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج٨ ،ص٣-ص١٩ ؛ **الدليل الشافي على المنهل الصافي** ، تح : فهيم محمد شلتوت ،(القاهرة: مكتبة الخانجي ، د.ت) ،ج١ ،ص-ص ٢٩٢-٢٩٣ ؛ عبد القادر ،المماليك البحرية ، ص٥٤ ؛ التميمي ،أهل الذمة ،ص-ص ٢٩-٣٠ .

(١) **الملك الاوحد** : بدر الدين بيدرا بن عبد الله المنصوري، نائب السلطنة بالديار المصرية في عهد الأشرف خليل بن قلاوون، تولى السلطنة بعد تنفيذه مؤامرة مع الامراء انتهى فيها حكم الأشرف، غير انه لم يفلح في تصفيه مماليكه الذين طالبوا بدم استاذهم بزعامة كبيرهم كتبغا، فحملوا عليه وقتلوه بالطرانة وفرَّ معظم اعوانه. للاستزادة انظر : ابن ايبك الدواداري، كنز الدرر، ج٨(الدرة الزكية)، ص٣٤٧ ؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١ ،ص٤٠٧ ،الصفدي، **الوافي بالوفيات** ، تح: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج١٠ ،٢٢٤ ؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣ ،٣٩٤ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨ ،ص١٩-ص٨٦ ؛ **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** ، تح :محمد محمد أمين ،(القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ت) ،ج٣ ، ٤٩٣ ؛ التميمي، أهل الذمة، ص٣٠ .

(٢) **الناصر محمد** : السلطان ناصر الدين أبو الفتح محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي ،تولى السلطنة ثلاث مرات ليمثل أطول عهد بين سلاطين المماليك . للاستزادة انظر : ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر،ح٨ (الدرة الزكية) ،ص-ص٣٥٢- ٣٥٦ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ،ج٤ ،ص٢٥١ ؛ ابن تغري بردي ، الدليل الشافي ،ج٢ ،ص-ص ٦٧٤-٦٧٥؛ مبارك، علي (ت١٣١٠هـ/١٨٩٣م)، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، ط١ (القاهرة: المطبعة الكبرى الاميرية، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، ج١، ص_ص٣١-٣٢؛ عبد القادر، المماليك البحرية، ص٥٥ ، التميمي ، أهل الذمة ، ص٣٠

سلاطين آخرين إثر انقلابات قاموا بها عليه[١]، فقد استبعد عام (٦٩٤هـ /١٢٩٦م) على يد **العادل كتبغا**[٢]، ثم تولى **المنصور لاجين**[٣](٦٩٦-٦٩٨هـ /١٢٩٧-١٢٩٩م).

ثم قتل وعاد الناصر مرة ثانية للحكم[٤](٦٩٨-٧٠٨ هـ /١٢٩٩-١٣٠٨م)، ثم

---

(١) عبد القادر، المماليك البحرية ،ص٥٤.

(٢) **العادل كتبغا** : هو السلطان العادل زين الدين كتبغا بن عبدالله المنصور التركي ، جلس على تخت الملك بعد خلعه ابن استاذه الناصر ابن قلاوون وإعلان نفسه سلطانا بلقب العادل عام ٦٩٤هـ /١٢٩٤ ، ودام في الملك إلى أن توجه لمقاتلة التتر في بلاد الشام واثناء عودته دبر الامير لاجين خطة لقتله اثمرت عن هروبه ومبايعة الامراء للاجين وذلك عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م . ابن ايبك الدواداري ،كنز الدرر، ج٨(الدرة الزكية) ،ص٣٥٧، ٣٦٥، ٣٦٦ ؛ ابن شاكر الكتبي ،فوات الوفيات، ج٣، ص٢١٨ ؛ ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة ،ج٨،ص٥٥ ؛الدليل الشافي ،ج٢ ،ص-ص٥٥٣-٥٥٤ ؛ الزركلي ،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، **الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط١٥ (بيروت : دار العلم للملايين ،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)،ج٥ ، ص٢١٩ ؛ عبد القادر، المماليك البحرية ،ص٥٥؛ التميمي ، أهل الذمة ،ص٣٠ .

(٣) **المنصور لاجين** : السلطان المنصور حسام الدين لاجين ، ملك الديار المصرية بعد الملك العادل كتبغا ، كانت مدة ملكه سنتين ونصفاً وثمانية أشهر واثنين وعشرين يوما ، وواجه منذ بداية حكمه مشكلتين هما وجود كتبغا في الشام و والناصر محمد بالقاهرة ،فضلا عن مماليك الأشرف الذين كانوا يتحينون الفرصة لقتله لكونه احد الامراء الذين شاركوا في قتل استاذهم ، فنجحوا بزعامة الامير كرجي مقدم المماليك البرجية في قتله بالتعاون مع منكوتمر الذي عينه لاجين نائب السلطنة عام ٦٩٨هـ /١٢٩٩م. للاستزادة انظر : ابن ايبك الدواداري، كنز الدرر، ج٨(الدرة الزكية)، ص-ص٣٦٧-٣٨٣؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢، ص٥٦٦؛ عبد القادر، المماليك البحرية ،ص٥٥؛ التميمي، أهل الذمة، ص٣١ .

(٤) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر،ج٩(**الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر**)، تح :هانس روبرت رويمر، (القاهرة : المعهد الالماني للأثار بالقاهرة، ١٣٧٩هـ /١٩٦٠م)، ص-ص٦-٨؛ مجير الدين=

استبعد وتولى الحكم الملك **المظفر بيبرس**[١] **الجاشنكير**[٢] **(٧٠٨-٧٠٩هـ /١٣٠٩-١٣١٠م)**، ثم عاد الناصر محمد للمرة الثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤١م) بعد خلع المظفر نفسه، واستقر فيها إلى حين وفاته[٣]، وتولى من بعده أبناؤُهُ وأُحفاده، على حكم الأقاليم إلى عام ٧٨٤هـ /١٣٨٢م، وهو تاريخ نهاية دولة المماليك البحرية التي حكمت اكثر من مائة وثلاثين عاما، وقد بلغ عدد هؤلاء السلاطين الذين حكموا مصر والشام خمسة وعشرين سلطانا، شهد عهدهم تسلط كبار الأمراء وتفردهم في شؤون الدولة، وحرصهم على تعيين سلاطين صغار السن كي يمكنهم التصرف في شؤون

=الحنبلي ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي(ت٩٢٨هـ /١٥٢٢م)، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تح :عدنان يونس عبد المجيد نباتة، (عمان: مكتبة دنديس ،د.ت)، ج٢، ص٩١؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد ابن العكري (ت١٠٨٩هـ /١٦٧٩م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح :محمود الأرناؤوط ،ط١ (دمشق ،بيروت : دار ابن كثير ،١٤٠٦هـ /١٩٨٦م)، ج٨، ص ٢٣٤؛ عبد القادر، المماليك البحرية، ص٥٥، التميمي ،أهل الذمة ،ص٣١ .

(١) **الملك المظفر** : هو بيبرس بن عبد الله الملك المظفر ركن الدين بيبرس البرجية المنصوري الجاشنكير، أصله من مماليك الملك الناصر المنصور قلاوون البرجي ، وكان جركسي الجنس ، جلس على تخت الملك بدلا عن الناصر محمد بعد أن اضجره واجبره على الخروج من الاقليم فوقع الاتفاق على سلطنته بالأجماع . للاستزادة انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٨، ص٨٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٣٢؛ المنهل الصافي، ج٣، ص٤٦٧؛ السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ /١٥٠٦م)، **تاريخ الخلفاء**، تح : حمدي الدمرداش، (القاهرة: مكتبة نزار مصطفى الباز،١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م)، ص٣٤١؛ عبد القادر، المماليك البحرية، ص٥٥؛ التميمي، اهل الذمة، ص٣١.

(٢) **الجاشنكير**: كلمة تركية تعني وظيفة متذوق طعام السلطان والاشراف على مطبخ السلطان خشية ان يدس له السم او الاذى في الطعام. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص ٤٣٢.

(٣) للاستزادة انظر: ابن ايبك الدواداري، كنز الدرر، ج٩(الدر الفاخر)، ص- ص١٦٧-٣٩٩؛ عبد القادر، المماليك البحرية، ص-ص٥٥-٥٦؛ التميمي، اهل الذمة، ص٣٢؛ عن حدود واتساع دولة المماليك البحرية **انظر ملحق رقم(١)**.

الدولة من دون معارضتهم أو تدخل منهم[١]، وهكذا انتهت دولة المماليك البحرية وتولَّى المماليك البرجية الحكم عام٧٨٤هـ/١٣٨٢م[٢].

ثانيا : الحياة الاجتماعية والاقتصادية

١ـ الحياة الاجتماعية

يعد مجتمع العصر المملوكي مجتمعا طبقيا متعددا ،وتتضح فيه الفوارق الطبقية، وتتمايز بعضها عن بعض بخصائصها وصفاتها ونظرة الدولة اليها وما تتمتع به من حقوق وامتيازات ، وفي ظل هذا النظام الطبقي يبدو وجود فارق كبير بين الحكام والمحكومين[٣].

فقد اختلف المؤرخون في تحديد فئات المجتمع، فابن فضل الله العمري(ت٧٤٩هـ /١٣٤٨م)[٤]، قسم هذه الفئة على خمسة أصناف :

---

(١) التميمي، **اهل الذمة**، ص٣٢.

(٢) **ينظر ملحق رقم(٢)**: قائمة اسماء سلاطين دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م).

(٣) عاشور، **العصر المماليكي في مصر والشام**، (القاهرة : دار النهضة المصرية ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م)، ص٢٢٠؛ حمودة ،طاهر سليمان، **جلال الدين السيوطي عصره وحياته واثاره وجهوده في الدرس اللغوي**، ط١(بيروت: المكتبة الأسلامية ،١٤١٠هـ /١٩٨٩م)، ص٣٤ ؛ الزيدي، مفيد، **العصر المملوكي**، (عمان : دار أسامة ، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م)، ص٢٢١.

(٤) احمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ /١٣٤٨م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ط١(أبوظبي :المجمع الثقافي،١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م)، ج٣، ص- ص٤٥١-٤٨٦-٤٨٧؛ القادري، علي رضا، **دراسة وتحقيق درة الأسلاك في دولة الأتراك لابن حبيب الحلبي ت٧٧٩هـ /١٣٧٨م**، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة دمشق: كلية الآداب والعلوم الانسانية ،١٤٣٣هـ /٢٠١٢م)، ص٤١.

١- المماليك أكثر فئات المجتمع تميزا ،إذ كانت بأيديهم الوظائف والمناصب العليا، ولُقّبوا بأرباب السيوف.

٢-كبار موظفي الدولة من الدرجة الثانية لقبوا بأرباب الأقلام ،كالوزراء وكتّاب السر، ونظر الجيوش، ونظر الخزانة، ونظر الأموال، ونظر الأسطبلات.

٣- القضاة والخطباء، وكالة بيت المال، والحسبة.

٤- التجار.

٥- عامة الناس.

في حين قسم ابن خلدون(ت٨٠٨هـ /١٤٠٦م)، المجتمع بعبارتين: سلطان ورعية ،وعلى الرغم من اقتصار هاتين الكلمتين في تقسيمه إلا انها أكثر عمقا من اي تقسيم آخر، فهو ينظر إلى الإطار العام الذي يتشكل منه المجتمع(١).

أما المقريزي(ت٨٤٥هـ /١٤٤٢م) فقسمه على سبعة اقسام وهم(٢)

١- أهل الدولة.

٢- أهل اليسار من التجار و أولي النعمة من ذوي الرفاهية.

٣- أصحاب البز وأرباب المعايش.

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح : خليل شحاذة، ط٢ (بيروت : دار الفكر ،١٤٠٨هـ /١٩٨٨م)، ج١، ص٢٠٧؛ عبد القادر، المماليك البحرية، ص٦١.

(٢) **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، دراسة وتحقيق : كرم حلمي فرحات، ط١(القاهرة :عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٧م)، ص١٤٧ .

٤- اهل الفلاحة.

٥-الفقهاء وطلاب العلم والشهود

٦- أرباب الصنائع والأجراء أصحاب المهن

٧- ذوو الحاجة والمسكنة

أما الرأي الذي يبدو أقرب إلى الصواب فهو رأي ابن خلدون الذي حدد فئات المجتمع في العصر المملوكي بكلمتين (سلطان ورعية)، فالسلطان وما يتبعه من أجهزة إدارية وولاة وأمراء وموظفين وجنود ومماليك تابعين له، أما الرعية فتشمل كل الطبقات من اجلّهم قدراً إلى أقلهم حالاً[١] .

وقد اعتمد ابن فضل الله العمري والمقريزي على الرغم من كونهما من المعاصرين على معيار محدد في تقسيم المجتمع ،وهو معيار السلطة والثروة والعمل[٢].

وسيتم تناول هذه الفئات على الشكل الآتي:

أ- طبقة الحكام او المماليك

شكل المماليك فئة عسكرية مميزة استأثرت بالحكم و بشؤون الحرب، ولهم اصلهم ونشأتهم وأسلوبهم الخاص في الحياة[٣]، إذ امتازت حياة هؤلاء بكونها صاخبة مترفة

(١) عبد القادر، المماليك البحرية، ص٦١.

(٢) مسالك الابصار، ج٣، ص٤٥١؛ إغاثة الأمة، ص-ص١٤٧-١٤٩.

(٣) حمودة، طاهر سليمان، ص٣٤.

لاسيما وانهم عاشوا كحكام البلاد متمتعين بخيراته من دون أن يحاولوا الاندماج بأهلها[١]، او الاختلاط بهم[٢].

كما انهم لم يحاولوا الزواج من أهل البلاد، بل كانوا يختارون أزواجهم وجواريهم من بنات جنسهم، ولم يخرجوا عن هذا العرق إلا في حالات قليلة، مثلما حدث أيام **السلطان الظاهر برقوق**[٣] الذي تولى الحكم على مرحلتين منفصلة للمدة(٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٩١) و (٧٩٢-٨٠١هـ/١٣٩٢-١٣٩٩م) عندما رخص للمماليك أن يسكنوا القاهرة والاختلاط بأهلها "**فنزلوا من الطباق من القلعة ونكحوا نساء أهل المدينة وأخلدوا إلى البطالة ونسوا تلك العوائد**"[٤].

---

(١) للاستزادة انظر: القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الاعشى في صناعة الإنشا**، تح: يوسف علي الطويل، ط١(دمشق: دار الفكر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٥، ص٣٦٩، ج١١، ص١٦٧-١٧١؛ الربيعي، بلقيس عيدان لويس ،**المقريزي منهجه وموارده في كتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفا**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد :كلية التربية للبنات، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٧م)، ص٤٤.

(٢) طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٦م)**، ط١ (عمان :دار النفائس ،١٤١٨هـ /١٩٩٧م)، ص٥٥٨

(٣) **السلطان الظاهر برقوق:** الملك الظاهر ابو سعيد سيف الدين بقوق آنص العثماني اليلبغاوي الجركسي، مؤسسدولة المماليك الجراكسة في مصر، وهو السلطان الخامس والعشرين من ملوك الترك والثاني من الجراكسة اذ كان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير(٧٠٨-٧٠٩هـ/١٣٠٩-١٣١٠م) جركسياً، وان كان بيبرس الجاشنكير تركي الاصل فبرقوق هذا هو الاول من ملوك الجراكسة الذي تولى الحكم عام(٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٩م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢١.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٧٣؛ عاشور، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص-ص٢٨-٢٩؛ حمودة، جلال الدين السيوطي، ص٣٥.

وهكذا ظلّ المماليك طبقة مختلفة عن سائر السكان في مصر وبلاد الشام، وعاشوا في عزلة وفجوة بين الحكام والمحكومين، ولم يهتموا بمشكلاتهم الداخلية والأزمات التي عانى منها المجتمع من جوع ونزاعات وفتن ،بل اكتفوا بمشاركتهم في اعيادهم واحتفالاتهم الدينية(١) .

ب- أرباب العمائم

وإلى جانب طبقة المماليك، وجدت جماعة من المعممين أو أرباب الأقلام، ويقصد بهم أرباب الوظائف الديوانية والعلماء والفقهاء والأدباء والكتّاب(٢)، وامتازت هذه الفئة بميزات معينة منها نفوذها المؤثر داخل الدولة واحترام السلاطين وإجلالهم لهم واستئثارهم بالوظائف الدينية والسياسية العليا طوال العصر المملوكي(٣) لذلك عاشوا في سعة ويسر في الحياة، ونتيجة هذه الامتيازات تعرض بعضهم للاضطهاد من لدن بعض السلاطين الناقمين عليهم(٤).

وكان سبب استعانة المماليك بعلماء الدين، هو لإرضاء العوام الذين نظروا اليهم غرباء عنهم، ومن جهة اخرى انهم يمثلون قوة لها تأثيرها في كسب الرأي العام في

---

(١) للاستزادة انظر: قاسم، قاسم عبده، **عصر سلاطين المماليك**، ط١(القاهرة : دار الشروق،١٤١٥ هـ /١٩٩٤م)، ص- ص١١-١٤؛ محمد ، محمود سالم، **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي**، ط١(دمشق: دار الفكر،١٤١٧ هـ /١٩٩٦م)، ص٢٣؛ الزيدي، العصر المملوكي، ص٢٢٢.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج١، ص٤٧٤ ، ج٧،ص٩٢؛ عاشور، المجتمع المصري، ص٣٥؛ حمودة، جلال الدين السيوطي، ص٣٦ .

(٣) للاستزادة انظر: المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٢٤؛ عاشور، المجتمع المصري، ص٣٥.

(٤) المرجع نفسه ، ص٣٥.

البلاد لذا استفاد السلاطين من نفوذهم ومكانتهم لتوثيق علاقتهم مع العوام[١]، ومن ابرز منهم على سبيل المثال، الشيخ **فتح الدين محمد بن سيد الناس**[٢].

ت- طبقة التجار

هم أهل اليسار وأُولو النعمة من ذوي الرفاهية، كما يسميهم المقريزي[٣]، وهذه الطبقة اسهمت في بناء المجتمع في مصر، إذ كانوا يمثلون العصب والشريان الذي ينبض بالأموال بالنسبة للدولة[٤]، ومن المعروف أن مصر قامت بنشاط كبير في المجال التجاري بين الشرق والغرب في العصر المملوكي، مما ادى إلى ثراء التجار، ولاسيما قبل اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح، لذا ادرك سلاطينُ المماليك اهمية التجار مصدراً أساسياً تمد الدولة بالمال، فعمدوا الى التقرب منهم واعطائهم المناصب العليا في الدولة[٥]، ولكن كثرة هذه الثروة في ايديهم جعلتهم دائما مطمع السلاطين المماليك، فأكثروا من مصادرتهم وفرض الضرائب **والمكوس**[٦]

---

(١) للاستزادة انظر: البطاوي ،حسن احمد عبد الجليل ، **أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك** ، ط١ (القاهرة : عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م) ،ص-ص٤٥-٤٦ ؛ الزيدي ، العصر المملوكي ،ص-ص٢٢٢-٢٢٣.

(٢) **الشيخ فتح الدين بن سيد الناس** : ابو الفتح مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن يحيى بن سيد النَّاس اليعمري الأشبيلي الْعلامَة المتقن المُصنف الأديب البارع، توفى يوم السبت الحادِي عشر من شعبان عام ٧٣٤هـ/١٣٣٣م.المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٨٢.

(٣) إغاثة الأمة، ص١٤٧.

(٤) عبد القادر، المماليك البحرية، ص٧٢.

(٥) عاشور، المجتمع المصري، ص٤١؛ حمودة، جلال الدين السيوطي، ص٣٨.

(٦) **المكوس** : مفردها مكس وهي من الضرائب غير الشرعية، يقول عنها المقريزي " المال الهلالي عدة أبواب، كلها إحداث ولاة السوء شيئا بعد شيء"، فرضها السلاطين دون سند شرعي بعضها موروثا مسبقا وآخر مستحدثا في عهدهم . للاستزادة انظر : القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، =

والغرامات، وهكذا بلغ من قسوة هذه الرسوم والمصادرات،" **بدعاء بعض التجار على انفسهم أن يغرقهم الله حتى يستريحوا مما هم فيه من الغرامات والخسارات وتحكم الظَّلمةِ فيهم** "(١).

ث- طبقة العوام

كانت المدن المصرية في عهد السلاطين المماليك تحوي طائفة كبيرة من العمال والصناع والباعة والسقّائين و المكاريين والمعدومين أو اشباه المعدومين، عرفوا باسم العوام(٢)، وأضافت اليهم المصادر بعض الطوائف مثل **شلاق الزعر**(٣)، **والحرافيش**(٤)،

=ص-ص٥٣٦-٥٣٨ ؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص١٩٤ ؛ عبد القادر ، المماليك البحرية ، ص٧٣؛ عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت١٤٢٤هـ /٢٠٠٣)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١(الرياض: عالم الكتب ،١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م)، ج٣، ص٢١٤؛ الربيعي، المقريزي منهجه وموارده، ص٤١.

(١) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٨٠ .

(٢) المقريزي ، إغاثة الامة ،ص١٤٧ ؛ عاشور ، المجتمع المصري ،ص٤٤ ؛ الزيدي ، العصر المملوكي ،ص٢٢٣ ؛ الزبيدي ، نشوان محمد عبدالله ، **الأوضاع الحضارية في مصر في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٧٨٤ هـ /١٢٥٠-١٣٨٢م)، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤)** ، ص٣٩ .

(٣) **شلاق الزعر**: وهم الزعارة والزعر والزعرور، وقيل سيئو الخلق يدخلون الخوف في قلوب الناس؛ ابن منظور، لسان العرب ،ج٤،ص٣٢٣ ؛ المقريزي ، السلوك ،ج٥، ص٢٢٩ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج١٠ ،ص١٢٣.

(٤) **الحرافيش** : جمع حرفوش، هم أحطّ طبقات الشعب وأرذلهم، وكان المماليك يحسبون لهم حسابا، ومثال على ذلك عندما حبس الناصر **محمد بن المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي**، احد الأمراء المحسنين لهم وطلبوا منه اخراجه ، فأخرجه من حبسه. ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اللواني الطنجي ابو عبدالله (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، **رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار)**، (الرباط :أكاديمية المملكة المغربية ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)،١، ص٢١٤؛ دوزي،=

والمشاعلية[١]، ويبدو من استعمال هذه الألفاظ بأنها تعني أهل الفساد من العوام، لهذا اطلق عليهم أوباش العامة، وعاش هؤلاء العوام في حالة ضيق وقسوة ،قياساً بالطبقات الأخرى المنعَّمة[٢].

أما الفلاحون فقد تعرضوا إلى اهمال واحتقار وظلم، فضلا عن الضرائب الباهظة التي تُفرض عليهم، وبطش العربان[٣]، الذين كانوا ينهبون ضياعهم ومواشيهم وأمتعتهم، وكان وضع الفلاحين في الواقع حالة انعكاس للأوضاع الداخلية في مصر[٤].

=رينهارت بيتر آن(ت ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م)، **تكملة المعاجم العربية**، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي وجمال خياط، ط١(بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٣٩٨هـ/١٩٧٩م)،ج٣، ص١٣٥؛ عمر، معجم اللغة ، ج١، ص٤٧٧؛ دهمان ، محمد احمد ، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** ، ط١ (بيروت :دار الفكر ،١٤١١هـ /١٩٩٠م)، ص٦١ ؛الوقاد ، محاسن محمد ، **الطبقات الشعبية في القاهرة (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)**، (القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ،د.ت) ،ص١٣٦

(١) **المشاعلية:** هم الاشخاص المكلفون بأعمال الإضاءة ، ويقال لهم الضوية . السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، **معيد النعم ومبيد النقم**، ط١ (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص١٠٩؛ دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٣؛ حلاق، حسان وعباس صباغ، **المعجم الجامع في المصطلحات الايوبية والمملوكية والعثمانية ذات الاصول العربية والفارسية والتركية**، ط١(بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص٢٥٠ .

(٢) عاشور، المجتمع المصري ، ص-ص٤٤-٤٥.

(٣) **امارة العربان:** سميت نسبة إلى المكان الذي استوطنوه، إ ذ كثير من الاحيان لايذكرون العرب بأسماء قبائلهم او بطونهم وانما يقتصرون على إطلاق كلمة (عرب) او (عربان) مثل : عرب منفلوط ، وعرب الراغة ، وعرب الشرقية ، وعرب البحرية، وعرب الصعيد. ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، ج٩(الدر الفاخر)، ص٢٠٩؛ المقريزي، البيان الإعراب ، ص٩٦.

(٤) للاستزادة انظر: المقريزي، السلوك، ج٧، ص٩٨؛ بحر، مجدي عبد الرشيد، **القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٧م)**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة=

ج- الأعراب

لقد عاش الأعراب على هامش الحياة المدنية التي عاشها بقية ابناء المجتمع في المدن المكتظة بالسكان(١)، واحصى القلقشندي قبائلهم ذاكرا أصولهم واماكن تواجدهم، إذ انتشر هؤلاء في مختلف انحاء البلاد بالوجهين القبلي والبحري(٢).

وقد مثَّل الأعراب شريحة من المجتمع لا يمكن تجاهلها، فهم الخارجون عن إدارة السلطنة في كونهم رافضين الانضمام تحت سلطتها، إذ كانوا ينظرون اليهم بأنهم اغراب عن البلاد وان سلطتهم غير شرعية، ومثال على ذلك في وصفهم للسلطان معز الدين أيبك (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م)بأنه مملوك قد مسه الرقُّ(٣) .

وبالرغم من رفضهم ومقاومتهم الانقياد لدولة المماليك، الا انهم في كثير من الأحيان خضعوا لها وتحول اغلبهم الى مزارعين واصحاب حرف وتجار، فكانوا بمثابة المد الذي يرفد كل الطبقات الأخرى بما تحتاجه(٤)، فهم يوردون للقاهرة والاسكندرية مواشي الذبح والخيول والجمال التي يربونها، ولم يقتصر دورهم على الناحية الانتاجية فقط(٥)، بل كان لهم دورٌ في نشر العروبة والاسلام داخل وخارجَهُ الإقليم(٦) .

=للكتاب ،١٤٢٠هـ /١٩٩٩م) ،ص-ص٢٢٨-٢٢٩ ؛ حمودة ، جلال الدين السيوطي ،ص٤٠ ؛ الزيدي ، العصر المملوكي ،ص٢٢٣

(١) عبد القادر ، المماليك البحرية، ص٩٠

(٢) صبح الاعشى ، ج٤ ،ص٦٨.

(٣) المقريزي ، **البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب** ، تح: فردناد واسطون فيلد ،(جوتنجن : ألمانيا ،١٢٦٣هـ /١٨٤٧م) ، ص-ص٩-١٠ ؛ عاشور ،المجتمع المصري ، ص٦٠.

(٤) عبد القادر ،المماليك البحرية ،ص٩٥ .

(٥) الزبيدي ،الأوضاع الحضارية في مصر ،ص٤٠.

(٦) عبد القادر ،المماليك البحرية ،ص٩٥

ح- أهل الذمة

عاش الذميون حياة متباينة في المجتمع، وحاولوا قدر الامكان التأقلم مع ما هو موجود[١]، فكانوا يشكلون اقلية ضخمة ذات اهمية في المجتمع، إذ ذكر أنَّ أعدادهم في القاهرة وحدها عشرون ألفا، نصفهم من الأقباط والنصف الأخر من اليهود ،واحتفظ هؤلاء بنظامهم الخاص وبكنائسهم الكثيرة[٢]، وبلغ عدد أديرة القبط بالوجه القبلي وحدها حوالي ثمانية وخمسين ديرا يحمل النصارى إلى رهبانهم النذور والقرابين[٣].

كما أنّهم عاشوا روح ذلك العصر الذي اعتمد على روح التعصب بسبب الحروب المستمرة بين المسلمين والصليبيين وما أفرزهُ من مشاعر كره وعدم ثقة، فكان هناك نوع من الاضطهاد عاش فيه أهل الذمة نتيجة الظروف الخارجية التي عاشها المجتمع العربي الإسلامي حينذاك[٤].

خ- عناصر أخرى

تواجد في مصر على عصر السلاطين المماليك فضلاً عن سكانها من الطوائف السابقة، عناصر أخرى، لم يكن لهم دور يذكر في الحياة العامة، انما اكتفت بالمشاركة في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية ولعل أهمها طائفة **اولاد الناس**[٥]، كما سمتهم بعض المصادر.

---

(١) عبدالقادر، المماليك البحرية، ص١٠٠.

(٢) عاشور ، المجتمع المصري ، ص٤٧.

(٣) للاستزادة انظر :المقريزي، **تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزى للعلامة المقريزي**، دراسة وتح: عبد المجيد دياب ، (القاهرة : دار الفضيلة ،د.ت) ،ص-ص١٤٧-١٧١ ؛ عاشور ، المجتمع المصري ،ص٤٧.

(٤) عبد القادر ، المماليك البحرية، ص١٠٠.

(٥) **اولاد الناس** : إحدى فرق الجيش المملوكي، وشملت ابناء أمراء المماليك فقط المملوك بدون عبودية ، ، اي أبناؤهم الذين ولدوا في مصر ولم يمسهم الرقّ . دهمان ، معجم الألفاظ ، ص٢٦ ؛ عبد القادر ،المماليك البحرية ،ص١٠١.

كما تواجد في مصر ايضا مجموعة كبيرة نسبياً من الأقليات الأجنبية ومن مختلف الأجناس، وقدَّر بعض الكتّاب أعدادهم في الاسكندرية وحدها أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، بثلاثة آلاف تاجر مسيحي(١)، وكان أغلب هؤلاء الجالية تجاراً يأتون بتجارتهم إلى مصر، إذ كانوا ينقلون السلع الشرقية إلى بلادهم عن طريق مصر ،لذا فرضت السلطنة المملوكية رسوما على هذه السلع المارة ببلادهم، وما ترتب على ذلك من فوائد وارباح تعود إلى سلطنة المماليك(٢).

كما أن سلاطين المماليك خصصوا لهم فنادق ينزلون فيها ومنحوهم قسطاً وافراً من الحرية داخل فنادقهم(٣)، ولكن المجتمع فرض عليهم نظماً معينة في تصرفاتهم بالخارج ،فلم يسمح لهم بارتداء ما يختارونه من ملابس او ركوب الخيل ،إنمّا فرض عليهم ركوب الحمير شأنهم شأن أهل الذمة، ويستثنى من ذلك فقط القناصل وكبار الأمراء الزائرين للبلاد الذين سمح لهم بركوب الخيل، كما فرض عليهم اغلاق ابواب فنادقهم مساء كل يوم ووقت أيام الجمعة(٤) .

عدَ السلاطين المماليك هؤلاء الأجانب رهينة لدى الدولة فإذا اصاب المسلمين أذى أو اعتداء من جانب البلدان النصرانية يكون الاقتصاص في هذا الحالة من هؤلاء الأجانب الموجودين في مصر(٥).

---

(١) للاستزادة انظر : عاشور ، المجتمع المصري، ص-ص٦٣-٦٦.

(٢) طرخان، ابراهيم علي ، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة** ، ط١ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، د.ت) ،ص٢٨٦.

(٣) طرخان، مصر في عصر دولة المماليك ، ص٢٨٢.

(٤) ابن تغري بردي، **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور**، تح: محمد كمال الدين عز الدين، ط١(الرياض: عالم الكتب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ج١، ص٢٧٣؛ حمودة ، جلال الدين السيوطي، ص٤٣ .

(٥) الزبيدي ، الأوضاع الحضارية في مصر ، ص٤٨ .

أما بالنسبة للمرأة فامتازت حياتها بنشاط حافل، وتمتعت بقسط وافر من التقدير والاحترام، سواء من قبل طبقة المماليك أو سائر طبقات الشعب . وهذا مكنّها من المشاركة بالحياة العامة سواء فيما يتعلق بقدرتها على الخروج إلى الطرقات العامة والأسواق، أو بطلب العلم، فمثلاً لعبت شجر الدر(١) دوراً بارزاً في الحياة السياسية بعد قتل زوجها، وكذلك في الحياة العامة، وغير ذلك (٢).

كما عرفت مصر في عهد المماليك كثرة الأعياد والاحتفالات القومية والاحتفالات السلطانية والموسمية، وشارك في إحيائها المسلمون والذميون من أهل مصر(٣)،

---

(١) **شجر الدر** : هي الملكة عصمة الدين ام خليل محظية السلطان الصالح نجم الدين ، كانت تركية الأصل وقيل أرمنية ، اهداها الخليفة العباسي المستعصم بالله إلى الصالح نجم الدين ايوب ، تمكنت من فرض نفسها على واقع الأحداث وتولت السلطنة ، في ٢٨ المحرم عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م واستمرت فيها لغاية ٢٩ ربيع الثاني من العام ذاته ، وخطب لها على المنابر وسكت النقود باسمها ، فبقيت على ذلك الحال نحو ثلاثة أشهر ،ثم بدا لها خلع نفسها فخلعت نفسها من السلطنة . للاستزادة انظر: ابن العبري ،غريغوس ابن أهرون الملطي (ت٦٨٥هـ /١٢٨٦م) ، **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق: أنطوان صالحاني اليسوعي ، ط٣ (بيروت: دار الشرق ،١٤١٢هـ /١٩٩٢م) ، ص٢٥٩؛ ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ،ج٧(الدر المطلوب) ، ص٣٨٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦ ، ص٣٩٢ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٣٦ ؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٥٩؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة ،ج٢،ص٢٢؛ ابن دقماق ، نزهة الأنام، ص١٩٤ ؛الشافعي ،قلادة النحر ، ج٥، ص٢٤٠ ؛ العصامي، سمط النجوم، ج٤ ،ص١٨ ؛ فواز ، زينب، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، ط١(القاهرة : المطبعة الكبرى الأميرية ، د.ت)، ص٢٥٥؛ عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص-ص١٨٢-١٨٣ .

(٢) للاستزادة انظر: عاشور ، المجتمع المصري ، ص١٤٣؛ الربيعي ، المقريزي منهجه وموارده ،ص٤٥ ؛ مصطاف ، ثامر نعمان، **دور المرأة في الحياة العامة في عصر المماليك البحرية ٦٤٨ -٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م**، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، (الكوت)، مج/٩، العدد: ٢٣، ٢٠١٣، ص-ص٢٧٠، ٢٨٩.

(٣) الزيدي ، العصر المملوكي ،ص-ص٢٢٣-٢٢٤.

وفضلا عن ذلك عرف في مصر وسائل الترفيه والتسلية واللهو التي كانت منتشرة في ذلك العصر[١].

٢- الحياة الاقتصادية

اعتمد اقتصاد مصر في العصر المملوكي على ثلاثة مجالات أساسية هي: الزراعة، والصناعة، والتجارة، ومثلت الزراعة الرافد الأساسيّ للثروة الاقتصادية حينذاك سواء في مصر او بلاد الشام .

فبالنسبة للزراعة كانت الحرفة الأولى لغالبية السكان والمورد الأول الذي عاش عليه معظم الأهالي، والمعروف أن الأرض الزراعية في مصر وزعت على شكل اقطاعات للسلطان والأمراء والأجناد[٢]، بعد أن قسمت اربعة وعشرين قيراطاً[٣]، اختص السلطان لنفسه بأربعة قراريط والأمراء بعشرة وما بقي كان من نصيب الأجناد[٤].

إن هذا النظام في الحقيقة كان معمولاً به أيام الايوبيين وانتقل إلى المماليك[٥]، الذين اجروا عليه تعديلات مهمة في آلية توزيعه المركزي، إذ تحول من اقطاع شخصي وراثي إلى غير وراثي، واعيد النظر في حصص الأرض الممنوحة للسلطان و الأمراء والأجناد، وصار الأقطاع يتوزع بين عدة مناطق بعد أن كان يتركز في الغالب بناحية

---

(١) الزبيدي ،الأوضاع الحضارية في مصر، ص٦٩

(٢) عاشور ، العصر المماليكي ، ص٢٨٣.

(٣) **قيراط** : جمع قراريط ، هو معيار في الوزن والقياس، اختلفت مقاديره بأختلاف الازمة وهو اليوم بالوزن ٤ قمحات، وفي الذهب ٣ قمحات، وفي الفدان = ٧٥ ومائة متر. مصطفى، ابراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، (الاسكندرية: دار الدعوة، د.ت)، ج٢، ص٧٢٧.

(٤) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص١٦٧ ؛ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٨ ،ص٩٢.

(٥) الربيعي ، المقريزي ، منهجه وموارده ، ص٣٤.

واحدة[١]، وإن هذا الأمر يلفت الانتباه بأن زمام الأرض لم تكن مستقرة في العصر المملوكي بل جرت عليها تعديلات أكثر من مرة بعد مسح الأرض الزراعية وهذه العملية عرفت باسم **الروك**[٢]، كما اتخذ الاستثمار في الاقطاع شكلين رئيسين:هما نظام المقاسمة ونظام الإيجار[٣]، والجدير بالإشارة أنَّ الأراضي الزراعية في مصر قد قسمها المقريزي إلى سبعة أقسام راعى في هذه التقسيمات توزيع الأرض على هيئة اقطاعات تتفاوت في مساحة أرضها وخصوبتها ومقدار ريعها وابرز هذه التقسيمات هي : أراضي السلطان، والأمراء والأجناد، والجوامع والمدارس والخوانق[٤]، والأحباس، وقسم يباع ويشترى ويورث ويوهب، وقسم لا يزرع، وقسم لا يشمل ماء النيل[٥].

---

(١) طقوش ، تاريخ المماليك ،ص٥٦٨.

(٢) **الروك** : كلمة تدل على القيام بعملية قياس الارض ومصيرها في السجلات وتثمينها أي تقدير خصوبة تربتها لتقدير الخراج وتعني في الوقت الحاضر تعديل الضرائب، واشتهر في عصر سلاطين المماليك الروك الحسامي الذي اجراه السلطان حسام الدين لاجين عام (٦٩٧هـ/ ١٢٩٦م) ، والروك الناصري الذي تم في عهد الناصر محمد بن قلاوون عام (٧١٥هـ /١٣١٥م) . للاستزادة انظر : ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٤٥٥؛ النويري، نهاية الإرب، ج٣١، ص٢١٩ ؛ ابن ايبك الدواداري ،كنز الدرر ،ج٨(الدرة الزكية) ،ص٣٧١؛ ،ج٩(الدر الفاخر)،ص- ص٢٨٦-٢٨٧ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ،ج٣ ،ص-ص٥٠٠-٥٠١ ؛ المقريزي ،السلوك ، ج١، ص٢٨٩؛ الخطط ،ج١، ص-ص١٦٥-١٦٦؛ ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة ، ج٨ ،ص-ص٩٢ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص٢٨٤ ؛الحجي ، حياة ناصر ، **صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك** ، ط١(الكويت :دار القلم ،١٤١٢هـ /١٩٩٢م) ،ص٥٣ ؛ الربيعي، المقريزي منهجه وموارده ،ص٣٤.

(٣) طقوش ، تاريخ المماليك ،ص٥٦٢

(٤) **الخوانق**: مفردها خانقاه او خانكاه : وهي كلمة فارسية معناها البيت ، كانت تبنى غالبا على شكل مساجد الصلاة ،الا ان فيها غرفا عديدة لمبيت الفقراء والصوفية وبيتا كبيرا لصلاتهم وللقيام بأذكارهم، إلا انها لا تحتوي على منابر في الغالب لان صلاة الجمعة لا تقام فيها الا نادرا ؛ عبد الدائم ، التربية ، ص١٦٠.

(٥) الخطط ،ج١ ،ص١٨٢ ؛ الربيعي ، المقريزي منهجه وموارده ،ص٣٥.

وهكذا أدرك سلاطين المماليك بأن الزراعة عماد الدولة ومصدر ثروتها لذى اعتنوا بها عناية فائقة فأنشؤوا الترع والجسور والقناطر والخلجان ومقاييس النيل، **لضمان عمارة الأرض وزيادة غلتها** [١]، وفضلاً عما تقدم فإن ازدهار الزراعة لا يعني بأن الفلاحين كانوا في حالة معيشية جيدة[٢]، بل عاشوا حياة المستضعفين كما وصفهم ابن خلدون[٣]، إذ كانت حياتهم مرتبطة بالأرض التي يعملون بها وليس لهم من خيراتها إلا القليل لأن مزروعاتها ومحاصيلها كانت من نصيب السلاطين والأمراء وأجنادهم، ولم يبق للفلاحين إلا التعب والجهد، ودفع الرسوم والضرائب المفروضة عليهم، ومن جانب آخر تعرضوا إلى هجمات الأعراب الذين خربوا معظم أراضيهم، وكل هذا الأمر ادى إلى ترك الفلاحين أرضهم وقراهم[٤]، ويبين المقريزي ذلك بقوله: " ...**لما دهى أهل**

---

(١) للاستزادة انظر: ابن مماتي، الاسعد الوزير الأيوبي (ت٦٠٦هـ /١٢٠٩م) ،**قوانين الدواوين** ، تح :عزيز سوريال عطية ،ط١ (القاهرة : مكتبة مدبولي ،١٤١١هـ /١٩٩١م) ،ص- ص٢٠٥-٢٣٣؛ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي ، (ت٦٨٢هـ /١٢٨٣م) ،**عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات** ،ط١ (بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ، ص١٦٠ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ،ج٣ ، ص-ص٥١٥-٥١٦ ؛ المقريزي الخطط ،ج١ ، ص-ص ١١٢-١١٥ ، ج٣ ، ص-ص ٢٩٢- ٢٩٥ ؛ابن شاهين الظاهري ، غرس الدين خليل (ت٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) ، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك** ، تصحيح : بولس راويس ، (باريس : المطبعة الجمهورية ،١٣١٢هـ /١٨٩٤م) ، ص١٢٩ ؛ حسن ، علي ابراهيم ، **دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص** ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٦٢ هـ/١٩٤٣ م) ، ص- ص ٣٢٧-٣٢٨ ؛ قاسم ، **النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، ط١(القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص- ص ١٥-١٨؛ المقريزي منهجه وموارده ،ص٣٤ .

(٢) الزيدي ، العصر المملوكي ، ص٢٣٤.

(٣) تاريخ ، ج١، ص٤٩٣.

(٤) الزيدي ، العصر المملوكي ، ص٣٢٤

الريف بكثرة المغارم وتنوع المظالم، اختلت أحوالهم وهجروا الأرض، فقلت مجابي البلاد ومتحصلها لقلة ما يزرع بها، ولخلو أهلها ورحيلهم عنها، لشدة الوطأة من الولاة عليهم، لذلك يعتبر... هذا السبب أصل الفساد"[١].

وفضلاً عن الثروة الزراعية فقد عُني السلاطين بالثروة الحيوانية ولاسيما السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الذي اهتم بتربية الأغنام والأبقار وشرائه الخيول العربية، وقد دفع مبالغ طائلة في شرائها حتى قيل بأنه خرج عن الحد في ذلك[٢]، كما اهتم المماليك بتربية الطيور، إذ ذُكر بأن السلطان المظفر حاجي بن الناصر محمد [٣] (٧٤٧-٧٤٨هـ /١٣٤٦-١٣٤٧م)، اصدر أوامر في عام ٧٤٨هـ /١٣٤٧م بإنشاء حظيرة في الدهيشة[٤]، وملأها بمختلف انواع الحيوانات، وعلى الرغم من اعتناء السلاطين المماليك بالثروة الحيوانية إلا انها تأثرت ببعض العوامل، كانتشار الأوبئة

---

(١) إغاثة الأمة ، ص٦١.

(٢) للاستزادة انظر : المقريزي ، الخطط ، ج٣، ص٢٣٩-ص٢٩٩ ؛ عاشور ، العصر المملوكي ، ص٢٨٧.

(٣) **السلطان المظفر حاجي** : المظفر بن ناصر حاجي بن محمد بن قلاوون السّلطان الملك المظفر سيف الدّين ابن السلطَان الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور، هو السلطان الثامن عشر من الدولة المملوكية، ولي القاهرة بعد مقتل أخيه الكامل عام ٧٤٧ هـ / وشغل باللهو، واللعب بالحمام، لصغر سنة، وساءت سيرته، ففتك ببعض القواد، وهمّ بقتل آخرين، فعاجلوه بالقتل. ومدة سلطنته سنة وأربعة أشهر وسُمى بحاجي لأنه ولد في طريق عودة أبيه من الحج . للاستزادة انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص-ص١٨٢-١٨٣؛ الزركلي، الاعلام، ج٢، ص١٥٣.

(٤) **الدهيشة** :هو ممر مكشوف الوجه مسقوف بعقود على أعمدة، وكان مثل هذا الرواق في حماة أمر ببنائه السلطان المؤيد عماد الدين، واخر في القاهرة أمر ببنائه السلطان الصالح عام ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. دوزي، المعجم العربية، ج٤، ص٤١٩.

كما حصل في طاعون عام ٧٤٩هـ /١٣٤٨م [١]، كما تعرضت الأبقار إلى الفناء عام ٧٦٤هـ /١٣٦٣م، وهلك منها اعداد كبيرة وأضر ذلك بحال الزراعة[٢].

أما الصناعة فقد تقدمت في هذا العصر بشكل عام، وبلغت مستوًى بعيداً في الرقي والإتقان والتفنن[٣] بحسب أوضاع ومتطلبات ومستوى حاجة المجتمع لها حينذاك.

ويقول ابن خلدون : "**على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ، واستجاد ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة** "[٤]، لذلك لا عجب في ازدهار النشاط الصناعي في عصر المماليك، علماً أن الصناعة الحربية احتلت مكانة بارزة بين الصناعات، لأن المماليك كانوا طبقة تعتمد على الفروسية، وبالتالي هم بحاجة إلى صناعة اسلحة عديدة، كالقوس والرمح والنشابة والحربة والسيوف، وسائر انواع الأسلحة، التي كانت تصنع في مصر[٥]، ولم تقتصر هذه الصناعة على الأسلحة الخفيفة فقط بل تعدت إلى صناعة السفن، ومنها السفن الحربية، لحماية

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ج٤، ص٤٥ ؛ عبد القادر، عبد الحكيم صالح ، **مصر وبلاد الشام في عصر دولة المماليك البحرية من خلال كتب الرحالة والبلدانيين – دراسة في الحياة العامة (٦٤٨-٧٨٤هـ /١٢٥٠-١٣٨٢م)** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة ديالى : كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ١٤٣٧هـ /٢٠١٥م) ،ص١٠٠.

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١١ ، ص٣٦.

(٣) المالكي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط١ (القاهرة: دار الفكر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م)، ج١،ص١٤ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ،ص٢٨٩ ؛ الزيدي ، العصر المملوكي ، ص٢٣٤.

(٤) تاريخ ، ج١ ، ٥٠٢.

(٥) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص-ص١١-١٢؛ عاشور، العصر المملوكي ، ص٢٨٥ ؛ الربيعي ، المقريزي منهجه وموارده ، ص٣٦.

السواحل في مصر وبلاد الشام[١] ولهذا ظهرت العديد من دور صناعة السفن في الروضة والاسكندرية ودمياط[٢].

كما عرفت مصر العديد من الصناعات البارزة منها صناعة النسيج على اختلاف انواعه، وصناعة المعادن والنحاس والبرونز والذهب والفضة وصناعة الجلود، فضلاً عن صناعة الزجاج، والاخشاب التي شهدت تطورا ملحوظاً في دقة الرسوم والزخارف التي ابدع فيها النجارون[٣]، كما شهدت مصر وبلاد الشام أيضاً ازدهاراً في صناعة المواد الغذائية، كالزيوت[٤]، وطحن القمح[٥]، وصناعة السكر، إذ يذكر المقريزي أَنَّ في **سمهود**[٦]، سبعة عشر حجرا لاعتصار القصب، كما كان في **ملوى**[٧]، عدة معاصر.

---

(١) لاستزادة انظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص١٢؛ لعاشور، العصر المملوكي ، ص٢٩٠ ؛ الزيدي ، العصر المملوكي ، ص٢٣٤.

(٢) كاشف، سيدة اسماعيل، **مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية** ، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ،د.ت) ، ص٥٦ ؛ سالم، سيد عبد العزيز ، **تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي (حتى الفتح الإسلامي)** ، ط١ (القاهرة : دار المعارف ، ١٣٨١هـ /١٩٦١م) ، ص١٥٥ ؛ الزيدي ، العصر المملوكي ، ص٢٣٥.

(٣) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ،ج٣ ،ص٤٢٢ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ،ج٤ ، ص٦؛ عاشور ، العصر المماليكي، ص-ص٢٩١-٢٩٥ ؛ الربيعي ، المقريزي منهجه وموارده ، ص٣٧ ؛ حسن، زكي محمد ، **في الفنون الإسلامية** ، (القاهرة : مؤسسة هنداوي ،د.ت) ، ص٣٧.

(٤) المقريزي، الخطط ،ج١ ،ص١٩١,

(٥) المصدر نفسه ، ج٣ ،ص٢٣٣ .

(٦) **سمهود** : وهي مدينة تقع بالجانب الغربي من النيل، وكان بها عدة أحجار لاعتصار قصب السكر. المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٧٦.

(٧) **ملوى** : تقع هذه المدينة بالجانب الغربيّ من النيل، وأرضها معروفة بزراعة قصب السكر، وكان بها ايضاً عدّة أحجار لاعتصاره . المقريزي، الخطط، ج١ ،ص٣٧٦ ؛عاشور ، العصر المماليكي، ص٢٩٥ .

كما خضع الصُنّاع واصحاب الحرف إلى نظام النقابات، للرجوع إليها في أية مشكلة يواجهونها، إذ كانت لكل حرفة نقابة يرأسها شيخ أو عريف يشرف على أفرادها وهذا يدل على ترتيب وتنسيق عمل النقابات في العصر المملوكي(١).

أما فيما يتعلق بالتجارة فإنها اتسعت في مصر إلى حد لم تبلغه من قبل(٢)، نتيجة اتساع نفوذ المغول الذي نتج عنه توقف الطرق التجارية العالمية بين الشرق والغرب(٣)، والذي ترتب عليه اضمحلال الطرق التجارية الآسيوية وازدهار طريق البحر البحر الأحمر والموانئ المصرية(٤)، وهذا الأمر أتاح للسلاطين المماليك التحكم بطرق بطرق التجارة العالمية، بوصف مصر البوابة التي تمر بها البضائع من الشرق للغرب وبالعكس(٥).

لقد ادرك المماليك ما تجلبه التجارة الخارجية من فوائد كبيرة من الناحية الاقتصادية، لذا حرصوا على تشجيع التجار الأجانب للمجيء إلى مصر للمتاجرة، وحثهم لنواب الثغور بحسن معاملتهم ومراعاة العدالة معهم(٦).

كما اسهمت الحروب الصليبية في زيادة التبادل التجاري بين المسلمين والصليبيين، على الرغم من العداء المستمر بين الطرفين، الا أن الكيانات الصليبية اعتمدت في تموينها على منتجات الاقاليم المختلفة في مصر وبلاد الشام ، وحرصوا على اقامة علاقات تجارية معهم لتحقيق الامتيازات الخاصة للتجار الأوروبيين في

---

(١) عاشور ،العصر المماليكي ، ص٢٦٦ ؛ الزبيدي ،الاوضاع الحضارية في مصر ، ص١٥٤.

(٢) المالكي، توضيح المقاصد ، ج١ ،ص١٤ .

(٣) الزبيدي، الاوضاع الحضارية في مصر ، ص١٥٤ .

(٤) عاشور، العصر المماليكي ،ص٢٩٨.

(٥) الزبيدي ، الأوضاع الحضارية في مصر ،ص١٥٤ .

(٦) القلقشندي ، صبح الاعشى ،ج١١،ص٤٠ ؛عاشور ، العصر المماليكي ،ص٢٩٩.

الأقاليم المملوكية، فتردد التجار الأوروبيون من **البندقية**(١) و **بيزا**(٢) و **جنوة**(٣) وغيرها للأسواق المملوكية لشراء حاصلات الشرق، ونشطت ايضا في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون تجارة خاصة بين مصر ومملكة **أرغوان**(٤) عبر التبادل التجاري(٥)، وامتدت إلى **قشتالة** (٦) **وصقلية**(٧)، وقد ترتب على هذا النشاط التجاري المتبادل بين

---

(١) **البندقية** : بضم الباء الموحدة وسكون النون ثم دال مهملة وقاف ومثناة تحتية وهاء في الآخر. وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة، إذ تعد طائفة مشهورة من الفرنج، وبلادهم شرقيّ بلاد (الأنبردية) وقاعدة مملكتهم (البندقيّة) . القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٣٨٢.

(٢) **بيزا** : او بيزة بباء موحدة مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة وزاي معجمة يعني وهاء في الآخر. قال: وقد تبدل الزاي شينا معجمة. وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبع، وهم فرقة من الفرنج ايضاً. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٣٨٨.

(٣) **جنوة** : بفتح الجيم والنون والواو ثم هاء في الآخر. وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة، وهم طائفة من الفرنج مشهورة أيضا، وقاعدة مملكتهم (مدينة جنوة) . القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٣٨٣.

(٤) **مملكة ارغون** : وهي احدى المماليك القديمة التي نشأت في شرق شبه الجزيرة الايبيرية، وهي قريبة من البحر الشامي (البحر الابيض المتوسط)، ومن اهم مدنها التاريخية القديمة مدينة برشلونة وبلنسية . شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م) ، **نخبة الدهر وعجائب البر والبحر**، اعتنى: أغشطس بن يحيى، (بطريورغ: مطبعة الاكادمية الإمبراطورية، ١٢٨١هـ/١٨٦٥م)، ص٢٤٦؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٢٥.

(٥) الزيدي ، العصر المملوكي ،ص-ص٢٣٧-٢٤٠.

(٦) **قشتالة**: إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الأفرنج. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله الرومي الحموي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم البلدان** ، ط٢(بيروت: دار صادر،١٤١٥هـ/١٩٩٥)، ج٤، ص٣٥٢.

(٧) **صقلية**: بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشددة، وبعض يقول بالسين، وأكثر أهل صقلّية يفتحون الصاد واللام: من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، وهي مثلثة الشكل بين كلّ زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيّام، وقيل: دورها مسيرة خمسة عشر يوما، وإفريقية منها بين المغرب والقبلة، وبينها وبين ريو، وهي مدينة في البر الشمالي الشرقي الذي عليه مدينة قسطنطينيّة. ياقوت الحموي، معجم ، ج٣، ص٤١٦.

بين سلاطين المماليك والدول الأوروبية ظهور مدن اقتصادية مثل: الإسكندرية، و **قوص**[١]، **ودمياط**[٢]، واسوان التي عُدّت من المراكز التجارية مع بلاد النوبة و افريقيا[٣] .

ولا ننسى أنّ التجارة لم تكن خارجية فحسب بل داخلية أيضا، وبين المدن الكبرى والصغرى، في مصر والشام[٤].

وعلى الرغم من هذا الازدهار إلا أن السلاطين المماليك فرضوا سياسة الاحتكار على التجار، من أجل رفع الاسعار، التي تعود بالنفع على السلطان او أمرائه وحاشيته[٥]، وليس هذا فحسب بل فرضوا الضرائب عليهم، وهذا عمل أدى بدوره ايضا ايضا الى ارتفاع أسعار المواد التجارية، وسوء حال الرعية، وكثرة تنوع المظالم الحادثة

---

(١) **قوص** : بالضم ثم السكون، وصاد مهملة، وهي قبطية: وهي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما، وأهلها أرباب ثروة واسعة، وهي محطّ التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة، وهي شديدة الحرّ لقربها من البلاد الجنوبية، وبينها وبين قفط فرسخ وهي شرقي النيل، بينها وبين بحر اليمن خمسة أيام أو أربعة، وقوص في الإقليم الأول، وطولها من جهة المغرب خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة. ياقوت الحموي، معجم، ج٤، ص٤١٣؛ ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ص٣٣٥، ٣٤٢ ؛المالكي ،توضيح المقاصد ، ج١، ص١٤.

(٢) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ص ٣٤٢ ؛ الزيدي ، العصر المملوكي ،ص٤١.

(٣) المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٣٦٥ ؛ الربيعي ،المقريزي منهجه وموارده، ص٣٨.

(٤) للاستزادة انظر : ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٢٠١ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج١٠ ،ص ٤٢ ؛ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص–ص ١٧٣–١٨١ ؛ الزيدي، العصر المملوكي ،ص٢٤٣.

(٥) للاستزادة انظر : المقريزي ، السلوك ، ج٦ ، ص٥٠٢ و ج٧ ، ص١٨٨ ؛ الزبيدي، الأوضاع الحضارية في مصر ،ص١٧٠.

من أرباب الدولة، لطرح البضائع على التجار والباعة بأغلى الأثمان إلى غير ذلك[١] .

ثالثا : الحياة العلمية والفكرية

يعدُّ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، من أخصب العصور الإسلامية في العلوم والمؤلفات الموسوعية ولاسيما المؤلفات التاريخية، فقد ظهر فيه عددٌ كبيرُ من المؤرخين المعروفين[٢] ، وابرزهم **العلامة ابن كثير** (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) صاحب المؤلفات المتعددة في علوم الفقه والأصول وعلم التاريخ وغيرها ، الذين تركوا آثاراً تاريخية مهمة، لها دورٌ في ازدهار الحياة العلمية والفكرية في العصر المملوكي[٣]، و كان ظهور ابن أيبك الدواداري امتداداً لهذه الصفوة من المؤرخين.

ويربط السيوطي بين هذا النشاط العلمي الواسع وبين إحياء الخلافة العباسية في القاهرة عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، بقوله: " **محل سكنى العلماء ومحط رحال الفضلاء**"[٤] كما عمل المماليك على تشجيع العلم وترحيبهم بالعلماء[٥]، لذلك أكثروا من بناء

---

(١) المقريزي ،الخطط ،ج٢،ص٢١١ ؛ طقوش ، تاريخ المماليك ،ص٥٦٧ .

(٢) ابن دقماق ، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي القاهري (٨٠٩هـ/١٤٠٦م) ، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، تح : سميرة طيار، ط١ (صيدا: المكتبة العصرية ، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م)، ص٤٤؛ المنجد، صلاح الدين، **مقدمة تحقيق كتاب كنز الدرر وجامع الغرر** ،ج٦(**الدر المضية في اخبار الدولة الفاطمية**)، (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ،١٣٨٠هـ /١٩٦١م)، ص٧.

(٣) المغلوث ، سامي بن عبدالله بن أحمد ،**أطلس تاريخ العصر المملوكي** ، ط١ (الرياض: العبيكان، ١٤٣٤هـ /٢٠١٣م) ،ص٢٩٤.

(٤) **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ، تحقيق :محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط١(القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ،١٣٨٧هـ /١٩٦٧م) ،ج٢،ص١٧٩.

(٥) عاشور، العصر المماليكي ،ص٣٤١.

المـــــــــــــــــــــــــــدارس[١] والجـــــــــــــــــــــــــــوامع[٢]، والبـــــــــــــــــيمارستانات[٣]،

(١) أنشأ السلاطين المماليك وأمرائهم الكثير من المدارس ، كالمدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر بيبرس عام ٦٦٠هـ /١٢٦١م ، والمجمع العلمي الذي أنشأه السلطان قلاوون عام٦٨٤هـ /١٢٨٥م، وضم مدرسة وقبة وبيمارستان، وسار بقية المماليك وأمرائهم في نهج هذا المجال. ابن دقماق، نزهة الأنام ، ص٤٠؛ حمزة، عبد اللطيف ، **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول** ، ط١ (القاهرة : دار الفكر العربي ، د.ت) ،ص١٦٥ ؛ الخولي ، محمد عبدالعظيم ، **العلماء في مصر في العصر المماليكي (٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٧م)** ، ط١ (القاهرة: دار الفكر العربي ،١٤٣٥هـ /٢٠١٤م) ، ص١٢٣ .

(٢) كان للجوامع دوراً علميٌ مشهودٌ في العصر المملوكي ، لذا أنشيء عدد كبير من المساجد وابرزها : مسجد القلعة الذي بناه ناصر بن قلاوون عام ٧١٨هـ/١٣١٨م ، ومسجد الفخري الذي بناه الأمير فخر الدين عبد الغني عام ٨٢١هـ /١٤١٨م ،فضلا عن المساجد القديمة التي عمرت في مصر وبلاد الشام ، كمسجد العتيق الذي أسسه عمرو بن العاص في مصر ، ومسجد احمد بن طولون ، والمسجد الأموي ، والمسجد الاقصى ، وغيرها من المساجد . المقريزي الخطط ،ج٤ ،ص-ص١٣-١٤ -١٣٦ ؛ النعيمي ،عبد القادر محمد الدمشقي (ت٩٢٧هـ /١٥٢١م) ، **الدارس في تاريخ المدارس** ، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ،١٤١٠هـ /١٩٩٠م) ،ج٢،ص٢٨٥ ؛ حمودة ،جلال الدين السيوطي ،ص-ص٦٦-٧١.

(٣)**البيمارستانات** : وهي كلمة فارسية معناها المستشفى، وهي مؤلفة من كلمة (بي) ومعناها (بدون) و(مار) معناها(الحياة والحيوية) و(ستان) معناها (مكان) فمعنى الكلمة كلها (مكان المرض) ،إذ عُرفت بلاد الشام ومصر بكثرتها، منها البيمارستان الذي أنشأها قلاوون في مصر ،لتقديم الرعاية الصحية والاجتماعية للمرضى ، كما اوصى قلاوون بضرورة وجود معلم للطب في البيمارستانات ، لتدريس الطب والعلوم الطبية ، وكذلك أنشأ الامير سيف الدين أرغون بيمارستاناً في حلب عام ٧٥٥هـ /١٣٥٤. عبد الدائم ، عبدالله ،**التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين** ، ط٥ (بيروت :دار العلم للملايين ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٤م) ، ص١٦١ ؛ مغاري، إياد أحمد عبد العزيز =

والـرُبط[١]، **والخوانـق**[٢] **والزوايـا**[٣]، ودور الكتـب، ورصـد الأوقـاف عليهـا[٤]، لـذلك تسابق المماليك والأمراء في إنشاء هذه المؤسسات العلمية، ويقول ابن أيبك الدواداري : " **أمّا الخوانق والرباطات والزوايا وكذلك المساجد فلا تحصى كثرة** "[٥]، وكذلك قول القلقشندي : أن هؤلاء المماليك وأكابر الأمراء بنوا "**...من المدارس ما ملأ الاخطاط وشحنها** "[٦].

=، **عوامل النصر والتمكين** في عهد أسرة المنصور قلاوون (٦٧٨-٧٨٣هـ/ ١٢٧٩-١٣٨٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، (الجامعـة الإسـلامية -غزة: كلية الآداب، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م)، ص-ص ١٢٣-١٢٤.

(١) **الربط** : هو لفظ أطلق على نوع من الثكنات العسكرية التي تبنى على الحدود الإسلامية يقيم فيها المجاهدون و المرابطين ، وهو شبيه بالخانقاه ، إلا أن معنى الربط تطور عبر الزمن ، واصبح يطلق على الأماكن التي يربط فيها من نذر روحه للجهاد في سبيل الله ونصرة دينه ، اي الأماكن التي يسكنها المتقشفون و الصوفية . عبد الدائم ، التربية ،ص١٦١ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص٣٥١ ؛ حمودة ، جلال الدين السيوطي ، ص٦١.

(٢) **الخوانق**: مفردها خانقاه او خانكاه : وهي كلمة فارسية معناها البيت ، كانت تبنى غالبا على شكل مساجد الصلاة ،الا ان فيها غرفا عديدة لمبيت الفقراء والصوفية وبيتا كبيرا لصلاتهم وللقيام بأذكارهم، إلا انها لا تحتوي على منابر في الغالب لان صلاة الجمعة لا تقام فيها الا نادرا ؛ عبد الدائم ، التربية ، ص١٦٠.

(٣) **الزوايا** : هي كالربط والخوانق ، الا أنها اصغر في الغالب , وهي أكثر ما تكون في الصحراء والأماكن الخالية من السكان ، وربما اطلقت على ناحية من نواحي المساجد الكبرى التي تقام فيها بعض حلقات العلم . عبد الدائم ، التربية ،ص١٦١ .

(٤) الربيعي ، المقريزي منهجه و موارده ،ص٤٧؛ مغاري ،عوامل النصر والتمكين ,ص١٠٥ .

(٥) كنز الدرر، ج٩(الدر الفاخر) ،ص٣٩١.

(٦) صبح الاعشى ،ج٣ ،ص٤١٦ .

ومما يفسر تسابق هؤلاء المماليك في إنشاء هذه المؤسسات، يذهب بعض الكتّاب الى أنهم كانوا يهدفون من احتضان العلماء هو التقرب من العامة وتمكين حكمهم في نفوسهم ، كما كانوا يهدفون من وراء ذلك التقرب إلى الله تعالى، ليغفر خطاياهم وما ارتكبوه في حقه من آثام(١)، في حين يرى ابن خلدون أنّ المماليك كانوا يخافون على انفسهم من التقلبات السياسية، و ما يمكن أن يتعرضوا له من مصادرات وضياع الثروة بعد موتهم، لذلك أرادوا تجنب هذا المصير، المظلم فبنوا هذه المؤسسات العلمية والدينية(٢)، ونجد أنّ رأي ابن خلدون أقرب للصواب.

كما نجد في هذا العصر بروز عدد غير قليل من العلوم التي نبغ فيها مجموعة كبيرة من العلماء في كل العلوم الدينية والنقلية والعقلية، وتأتي قراءة القرآن الكريم و تفسيره على رأس هذه العلوم(٣) ،إذ يعد هذا بحق اروع مظهر علمي عرفه المسلمون(٤)، وهو مصداق لقوله تعالى: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**(٥).

إذ يلاحظ أنّ هناك اهتماماً واضحاً في دراسة القرآن الكريم، من لدن العلماء والمفسرين، فظهر كبار المفسرين والقراء وعلماء علوم القرآن الكريم، كانت لهم مصنفات كثيرة منها: (الإشارة إلى الإيجاز في بعض انواع المجاز) لعز الدين بن عبد

---

(١) الخولي ، العلماء في مصر ، ص٧٣.

(٢) تاريخ، ج١ ،ص٥٤٩.

(٣) الحجي ، صور من الحضارة العربية ،ص١٣٥ .

(٤) للاستزادة انظر: الزرقاني ، محمد عبد العظيم , **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، (القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،د.ت) ، ج١ ،ص١١؛ سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر المملوكي للدولة الأولى(٦٤٨هـ -٧٨٣هـ)**، (القاهرة: دار المعارف ،د.ت)، ص١٢٣ .

(٥) سورة الحجر، آية: ٩.

السلام (ت ٦٦٠هـ /١٢٦٢م)، و(شرح الشاطبية) لشهاب الدين أبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ /١٢٦٧م)، و(الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، و(التبيان في أقسام القرآن) لابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ /١٣٥٠م) ،وغيرها من المصنفات التي ابدع فيها مؤلفوها .

أما علم الحديث النبوي، فإنه علم مكمل للشريعة الإسلامية، ويشتمل على ما نقل عن النبي ﷺ قولا او فعلا أو صفة، نقلا دقيقا محررا، فهو يتناول ضبط كل حديث ونقله، ويقسم علم الحديث الى نوعين هما: الأول علم الرواية، ويبحث عن كيفية اتصال الاحاديث بالرسول ﷺ من حيث رواتها ضبطا وعدالة[١]، ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا، والثاني علم الدراية وهو علم يعرف منه حقيقة الرواية و شروطها، وانواعها واحكامها، وحال الرواة وشروطهم واصناف المرويات وما يتعلق بها[٢].

أما أبرز المصنفات التي عرفت في هذا العصر، في متابعة مسيرة خدمة الحديث النبوي، منها (الإلمام لأحداث الأحكام) لابن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ /١٣٠٣م)، و(علم الحديث) لابن تيمية (ت٧٢٨هـ /١٣٢٨م)، و(نصب الراية تخريج أحاديث الهداية) للزيلعي (ت٧٦٢هـ/١٣٦١م)، و(بلوغ المرام من أدلة الأحكام) لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ /١٤٤٩م)، وغيرها من المصنفات الكثيرة التي شرحت الأحاديث، ووضحت معانيها[٣].

---

(١) الخولي ، العلماء في مصر ، ص١٩١ ؛ الزبيدي، الأوضاع الحضارية في مصر ،ص- ص٢٢٣-٢٢٤ .

(٢) الخطيب ، محمد عجاج ، **اصول الحديث علومه ومصطلحه** ، (بيروت: دار الفكر ،١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م) ،ج١ ،ص٦ .

(٣) للاستزادة انظر: خضر ، محي الدين محمد ، **حركة التأليف العامة في الدولة المملوكية** ، ط١ (دمشق، دار سعد الدين،١٤٣١هـ /٢٠١٠م) ؛ عبد القادر ، المماليك البحرية ،ص-ص ١٥٣-١٥٤=

وفضلا عن هذه العلوم، فقد ظهرت مصنفات أخرى في علوم الفقه واللغة العربية وآدابها، علاوةً على علوم العقيدة والتصوف ، ويمكن الاشارة هنا إلى بعض تلك الأسماء على سبيل المثال لا الحصر: شهاب الدين ابو عباس احمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي البهنسي (ت٦٨٤هـ /١٢٨٦م) الذي برع في الفقه وأصوله والعلوم العقلية و له معرفة بالتفسير[١]، وشمس الدين محمد بن محمود المعروف بالأصفهاني (ت٦٨٨هـ /١٢٨٩م) الذي اشتهر في أربعة فنون وهي أصول الفقه وأصول الدين والخلاف والمنطق[٢]، وعزالدين محمد بن أبي بكر بن جماعة (ت٨١٩ هـ/١٤١٦م) الذي برع في اللغة العربية وغيرها من الفنون[٣].

=؛ احمد ، هدى جبار ، **الحياة العلمية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي من خلال كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري(ت٧٤٩هـ)** ، رسالة ماجستير غير منشورة ،(جامعة ديالى: كلية التربية للعلوم الإنسانية ،١٤٣٨هـ /٢٠١٧ م) ،ص- ص٣٨-٥١ ؛ النهار ، عمار محمد ، **الدراسة النظرية الجديدة في عصر دولة المماليك البحرية ٦٤٨-٧٨٤** ، مجلة دراسات تاريخية ،(دمشق) ،العددان : ١٧-١٨ كانون الثاني ،حزيران ، ١٤٣٣هـ /٢٠١٢ م ، ص- ص ٢٥٦ -٢٥٧.

(١) ابن فرحون ،إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري(ت٧٩٩هـ /١٣٩٧م) ، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، تح: محمد الأحمدي أبو نور ،(القاهرة :دار التراث ,د.ت) ،ج١,ص٢٣٦.

(٢) ابن حبيب ، الحسن بن عمر(ت٧٧٩ هـ /١٣٧٧م) ، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه** ، تح: محمد محمد أمين ،(القاهرة : مطبعة دار الكتب ،١٣٩٧هـ /١٩٧٦م) ،ج١ ،ص١٢٥.

(٣) السيوطي ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (صيدا: المكتبة العصرية، د. ت)، ج٢، ص٣٧٢ ؛ الداوودي ،محمد بن علي بن احمد شمس الدين المالكي (ت٩٤٥هـ /١٥٣٩م) ، **طبقات المفسرين** ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت)، ج٢ ،ص٩٧.

كما أن العلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية من بين العلوم التي كان لها ازدهار في هذا العصر، كابن ايبك الدواداري (ت٧٣٦هـ /١٣٣٥م) صاحب ابرز موسوعة تاريخية والمتمثلة بكتاب (كنز الدرر وجامع الغرر)، وابن كثير (ت٧٧٤هـ /١٣٧٢م) صاحب المؤلفات العديدة في علوم الفقه والتاريخ وغيرها، والقلقشندي (ت٨٢١هـ /١٤١٨م) صاحب المؤلفات المتعددة ، وكل ذلك يدل على نضج التوجه الموسوعي وبروزه في العصر المملوكي[١].

(١) للاستزادة انظر: خضر، حركة التأليف ، ص-ص ٧٩-٩٠ ؛ الربيعي ، المقريزي منهجه وموارده ، ص- ص٥١-٥٢.

المبحث الثاني

حياة المؤلف

اولاً: اسمه ولقبه ونسبه

ذكر المؤلف بنفسه اسمهُ الكامل في بداية كل جزء من أجزاء كتابه (كنز الدرر) بقوله: " **تأليف أضعف عباد الله وأفقرهم إلى الله أبو [كذا] بكر ابن [كذا] عبد الله بن أيبك صاحب صرخد [أي جده]**"(١).

وزاد في تفاصيل اسمه بعض المؤرخين بأن اسمه الكامل، هو أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري(٢)، وذكر شاكر مصطفى أنّ اسمه هو ابو بكر بن عبدالله

---

(١) انظر مثلاً: كنز الدرر،ج١(**الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا**)، تح: بيرند راتكه، (القاهرة: المعهد الألماني بالقاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص١، ج٢(**الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة**) ، تح: إدوارد بدين ،(بيروت: المعهد الألماني للأثار بالقاهرة ،١٤١٤هـ /١٩٩٤م)، ص١، ج٣(**الدر الثمين في أخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين**)، تح: محمد السعيد جمال الدين، (القاهرة: المعهد الألماني بالقاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م)، ص١، ج٤(**الدرة السمية في أخبار الدولة الأموية**)، تح: جونهيلد جراف أريكاجلاسن، (بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات،١٤١٥هـ/١٩٩٤)، ص١، ج٥(**الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية**)، تح: دوروتيا كرافولسكي، (بيروت: المعهد الألماني بالقاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص١، ج٦(**الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية**)، تح: صلاح الدين المنجد، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م)، ص١، ج٧(**الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب**)، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة: المعهد الألماني بالقاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م)، ص١، ج٨(الدرة الزكية)، ص١، ج٩(الدر الفاخر)، ص١.

(٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن محمد شمس الدين(٩٠٢هـ/١٤٩٧م) **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، تحقيق وتعليق: فرانز روزنتال، ترجمة: صالح احمد العلي، ط١(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص٢٢٨؛ كرد علي ،محمد بن عبد الرزاق بن محمد (ت١٣٧٢هـ /١٩٥٢م) ، =

ابن الدواداري بن عز الدين أيبك المعظمي[١].

اما ما يخص لقبه وكنيته فهناك ألقاب عديدة له منها (سيف الدين)، و(مؤرخ النيل) [٢]، و(ابن أيبك الدواداري)[٣]، لكنهُ أشتهر باللقب الأخير.

أما نسبه، فيعود إلى بني سلجوق، إذ ذكر بأن أسرته انحدرت من هذا النسل، وإن جده عز الدين "...**باعوه الخوارزمية للملك المعظم** "[٤]، فنُسب إليه وصار يعرف بالمعظمي، بعد أن كان اسمه الحقيقي "...**ميكائيل بن بهرام بن مودود بن محمود بن داود أبو الشجاع البرسلان السلجوقي**"[٥].

=**خطط الشام** ، ط٣ (دمشق: مكتبة النوري ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) ، ج٤،ص٤٦ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص٦٦ ؛ كحالة ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن الغني الدمشقي (ت١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م), **معجم المؤلفين** ، (بيرت: دار احياء التراث العربي ،د.ت) ، ج٣، ص٦٥ ؛ شمس ، عمران ، وأخرون، **الجامع لسير شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون** ، ط٢ (مكة : دار عالم الفوائد ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م) ،ص٧٣ .

(١) **التاريخ العربي والمؤرخون** ، ط١ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) ، ج٣ ،ص١٢٣.

(٢) كنز الدرر، ج٩(الدر الفاخر)، ص ٢٠٢؛ مصطفى، التاريخ العربي، ١٢٢؛ كرافولسكي، دوروتيا، مقدمة تحقيق كنز الدرر ،ج٥ (الدرة السنية)، ص هـ .

(٣) **الدواداري** : وهو مركّب من لفظين أحدهما عربيّ وهو الدّواة، والمراد التي يكتب منها. والثاني فارسيّ وهو دار، ومعناه ممسك ويكون المعنى «ممسك الدّواة» ، أما في اللغة العربية فإنه يقال لحامل الدواة «داو»، مهمته ابلاغ الرسائل عن السلطان. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٤٣٤.

(٤) كنز الدرر، ج٧ (الدر المطلوب)، ص-ص٢٤٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٧ (الدر المطلوب)، ص ٢٤٩.

ثانيا: ولادته

لم تعثر الباحثة على معلومات كافية عن عام ولادته ،إذ لم تشر المصادر التاريخية، ولا هو في كتابه الى ذلك، إلا انه من المرجح أن ولادته تعود الى ثمانينيات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وذلك بإشارته لحادثة شاهدها بنفسه حين يقول" **قد شاهدت هذا الدابّ [كذا] بالديار المصريّة فى أيّام مولانا السلطان الشهيد الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل ابن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون بعثه صاحب اليمن فى جملة المقرّر عليه للأبواب العالية وهو على هذه الصفة المذكورة لكن لم أرى [كذا] ما فى قرنه كونه كان حىّ [كذا] يساق بين الحيوانداريّة بالسلاسل، ... كان ذلك فى عشر التسعين والستمائة من الهجرة النبويّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وكنت حينئذ طفلا أوّل ركوبى الفرس واستقلالى به فلم استوعب جميع صفته لصغر السن**"[(١)]، وبذلك اتضح أنه عاش بداية حياته في عهد السلطان الاشرف خليل بن سيف الدين قلاوون(٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م).

ثالثا: عائلته ونشأته

لا تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عن حياة ابن أيبك الدواداري، إذ صمت المؤرخون صمتاً غريباً ولاسيما المعاصرون له في ذكر شيء عنه على الرغم من انتاجه العلمي، وانتمائه إلى أسرة كان لها نصيب مرموق في مشاركتها في الأحداث المعاصرة، ويبدو أن سبب هذا السكوت يعود لبساطة حياته البدائية ،إذ لم يكن له شأن يذكر في بدايتها، ولكن عندما شبَّ وأصبح له شأن وقدر في تدوين الكتب

(١) كنز الدرر، ج١(الدرة العليا)، ص١٧٣.

كان في مقتبل العمر لذلك جهلت المصادر وجهل المؤرخون المعاصرون لهُ بداية حياته.

ومع ذلك عثرنا فيما بين ايدينا من المصادر على نتف يسيرة عن حياته ،تيسّرت لنا معرفة بعض من أفراد اسرته، فورد ذكر جده لأبيه عز الدين، الذي كان له دورٌ في صناعة الأحداث التي جرت في بلاد الشام في النصف الأول من القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي(١)، إذ كان جده مملوكا، كما ذُكر سابقا للملك المعظم شرف الدين عيسى الأيوبي(٢)، وفوض إليه **استاذ داريته**(٣)، واقطعه **قلعة صرخد**(٤)،

(١) انظر مثلاً: كنز الدرر، ج٧(الدر المطلوب)، ص٣٢٩، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠؛ عاشور ، مقدمة تحقيق كنز الدرر ، ج٧(الدر المطلوب)، ص-ص ز-ط.

(٢)**الملك المعظم شرف الدين عيسى الأيوبي:** بن الملك العادل ، واحد من ملوك الأيوبيين حكم دمشق للمدة(٦١٥-٦٢٤هـ /١٢١٨- ١٢٢٧م) ، وعرف عنه بحبه للشعر والفقه ، وله كتاب في العروض وديوان شعر ، كما خلف اثاراً كثيرة في دمشق منها المدرسة المعظمية ، وابنية اخرى أنشأها في دمشق. ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر،ج٧(الدر المطلوب)، ص٢٤٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء ، ج١٦، ص١٢٣ ؛ اليافعي، ابو محمد عفيف الدين عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان(ت٧٦٨هـ /١٣٦٧م), **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان** ، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م) ، ج٤، ص٤٦ ؛ مجير الدين الحنبلي ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي المقدسي(٩٢٨هـ /١٥٢٢م) ، **التاريخ المعتبر في انباء من غبر**، تح: لجنة من المحققين، إشراف نور الدين طالب ،ط١ (دمشق: دار النوادر ، ١٤٣١هـ /٢٠١١م) ، ج٢ ، ص١٠٧.

(٣) **استاذ داريته:** استاذ دار: لقب مملوكي يطلق على القائم على الشؤون الخاصة للسلطان . دهمان ، معجم الالفاظ ،ص١٤.

(٤) **قلعة صرخد:** تدعى اليوم(صلخد) ، مدينة سورية تقع شرق بصرى وجنوب السويداء في جبل العرب (الدروز). سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو مظفر يوسف قزأوغلي بن عبدالله (ت ٦٥٤هـ /١٢٥٦م)، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان** ، تحقيق وتعليق: ابراهيم الزيبق ، ط١ (دمشق: دار علمية، ١٤٣٤هـ /٢٠١٣م) ،ح٢٢ ،ص٤٠٣ ؛ شراب ، محمد بن محمد حسن ،**المعالم الأثرية في السنة والسيرة** ، (دمشق :دار العلم ودار الشامية ،١٤١١هـ /١٩٩١م) ،ج١ ،ص١٥٨.

فثبتت في يديه الى أن انتزعها منه السلطان الصالح **نجم الدين أيوب**[١] عام ٦٤٤هـ /١٢٤٦م، ودبر مؤامرة للتخلص منه من أجل الاستيلاء على ماله وممتلكاته، فأوشى بأنه يكاتب الصالح اسماعيل الأيوبي، فحجز عليه وعلى امواله، وأمر بحمله إلى القاهرة وحبسه في **دار الطواشي**[٢]، وظل معتقلاً بها[٣] حتى وفاته[٤].

---

(١) **نجم الدين أيوب:** السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ،سابع ملوك بني ايوب تسلطن للمدة (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٣٩-١٢٤٩م) بعد حروب طويلة وقعت بينه وبين أخيه الملك العادل سيف الدين ابن الملك الكامل محمد الذي تمكن من خلعه بمساعدة المماليك ، اذ يعود له الفضل بوجود هؤلاء المماليك في مصر وصار معظم جنوده منهم .للاستزادة انظر: سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٦٦ ؛ ابن ايبك الدواداري، كنز الدرر، ج٧ (الدر المطلوب)، ص- ص ٣٣٩-٣٤٠ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج٦ ، ص٣١٥-ص٣١٩ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ،ص١٧٦ .

(٢) **دار الطواشي:** وهو دار للمماليك الخصيان المعنيون بخدمة السلطان وحريمه. سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٢، ص٤٠٣ ؛ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد(ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٣، ص٦٧ ؛ دهمان ، معجم الالفاظ ،ص١٠٩ .

(٣) كنز الدرر ، ج٧(الدر المطلوب) ،ص-ص٣٧١-٣٧٢ .

(٤) اختلفت الآراء حول عام وفاته، فذكر سبط بن الجوزي بأنه كان عام٦٤٧هـ /١٢٤٩م اي في العام ذاته الذي توفي فيها السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، ويقول ابن خلكان : انه "توفي...في اوائل جمادى الأولى من سنة ست واربعين وستمائة ،بينما ذكر ابن أيبك الدواداي ، أنه توفي في شهر ذي الحجة عام ٦٤٥هـ /١٢٤٧م ، ويمكن القول بأن رأي ابن خلكان هو الأصح بقوله :أنه توفي " في موضع اعتقاله بالقاهرة .ودفن خارج باب النصر في تربة شمس الدولة وحضرت الصلاة عليه ودفنه، ثم نقل إلى تربته في مدرسته التي أنشأها ظاهر دمشق [اي خارجه]على [حي يقال له] الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير" ، ولكن مؤلفنا يذكر أن جده دفن في أذرعات (اطراف الشام)، حين ذكر حادثة وفاة والده ، بقوله " فحمل إلى مدينة أذرعات ، ودفن بها قريبا من قبر ابيه وامه" ،=

وفضلاً عن مكانة جده العسكرية، فقد أشار ابن أيبك الدواداري، إلى اهتمامه بالجوانب العمرانية ،فقد أنشأ مدرستين في دمشق، **العزية البرانية**(١)، **والعزية الجوانية**(٢)، كما أنه اشتغل بالكتابة ، فكانت له كتابات بخط يده وله مكتبة عامرة، كما عرف عنه شدة تدينه وحرصه على تلاوة القرآن الكريم(٣).

ويذكر أبن أيبك الدواداري، أنّ السلطان الصالح نجم الدين أيوب(٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م) دس له السم، ولما احس جده بهذه المؤامرة دبر للسلطان مكيدة أدت

=ربما نرى انه نقل بعد ذلك لمدينة أذرعات .للاستزادة انظر: مرآة الزمان ،ج٢٢،ص٤٠٣ ؛وفيات الأعيان ،ج٣،ص٤٩٦؛ كنز الدرر،ج٧(الدر المطلوب)ص-ص ٣٦٣-٣٧١-٣٧٢ ؛ وج٩(الدر الفاخر)، ص٢٦٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج١٣، ص ٦٧؛ عمر، معجم اللغة، ج٢، ص١٤٤٣؛ دهمان، معجم الألفاظ، ص٩٨؛ شراب ، المعالم ، ص١٠.

(١) **العزية البرانية:** مدرسة أنشأها عز الدين المعظمي عام ٦٢٦هـ /١٢٢٩م , فوق الوراقة بالشرف[اي الموضع] الأعلى شمالي ميدان القصر خارج دمشق ,وأول من بدأ بها الدرس من المؤرخين سبط بن الجوزي ، ثم من بعده ولده عز الدين ، ومن ثم برهان الدين محمد بن علي بن سفيان الترمذي ... وغيرهم من المؤرخين الذين تولوا التدريس فيها .كما ذكر بأن عز الدين اوقفها للحنفية .النعيمي الدمشقي ، الدارس ، ج١، ص-ص٤٢٣-٤٢٤.

(٢) **العزية الجوانية:** وهي بالكشك [اي القصر] تعرف قديما بدور ابن المنقذ ، إذ درس بها القاضي مجد الدين قاضي الطور ، ثم تولاها من بعده القاضي شرف الدين عبد الوهاب الحوراني إلى ان توفي ، وبعده شرف الدين داود ، ثم شمس الدين بن الجوزي الواعظ المشهور، ثم تولاها ولده عز الدين بن عبد العزيز إلى ان توفي ووليها بعده عماد الدين داود البصروي ... وغيرهم من المؤرخين الذين كان لهم دور في هذه المدرسة .ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج١٣ ،ص١٩٤ ؛ النعيمي ، الدارس، ج١، ص٤٢٧؛ دوزي، المعاجم العربية، ج٩، ص١٠٠؛ بدران ، عبد القادر (ت١٣٤٦هـ /١٩٢٧م)، **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال** ، تح: زهير الشاويش ، ط٢(بيروت :المكتبة الإسلامية ،١٤٠٦هـ /١٩٨٥م) ،ص١٨٦.

(٣) كنز الدرر،ج٧(الدر المطلوب) ،ص٢٤٩.

إلى اصابته **بمرض السقية**(١) الذي مات به بعد ذلك، ولكن هذه الرواية التي ذكرها ابن أيبك الدواداري تستوقفنا في كيفية تدبير جده لهذا الأمر في حين انه قد سمم من قبل السلطان في معتقله، إذ ربما أراد ابن ايبك الدواداري من ذلك، ان يظهره بمظهر المنتقم حتى بعد موته.

أما جدته لأبيه كمش خاتون، فهي امرأة خطائية الجنس، أي من **بلاد الخطا**(٢)، كانت من جملة جواري جده الأمير عز الدين أيبك، اللائي استولى عليهن السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، فباعها وهي حامل بأبيه عبد الله الى رجل من أهل صرخد، يقال له عمر بن سعد ،إذ ذكر عبد الله والد المؤلف بأنه: " **كان رجلا فقيها، صوفيا ،فاضلا، محققا، له عندي كتاب من تأليفه بخطه في التصوف...**"(٣)، مما يشير الى أن والده شب في بيت علم وأدب.

وأما جده لأمه فيدعى برى بلجك الكرتلى، فهو رجل تركي قفجاقي من جملة المماليك البحرية، وصفه ابن أيبك الدواداري بأنه، حسن الدين، جميل الخصال، كان له أثر في الأحداث السياسية، إلا اننا لم نجد له ذكراً في المصادر التي بين ايدينا، كما أن ابن أيبك الدواداري لم يذكر تفاصيل كثيرة عنه سوى بعض الأحداث التي

---

(١) **مرض السقية:** معناه سقي بَطْنه سقيا ، فهو مسقي وَيُقَال سقي قلبه عَدَاوَة أشربها. مصطفى، إبراهيم وأخرون، المعجم الوسيط، (الإسكندرية: دار الدعوة، د.ت)، ج١، ص٤٣٧.

(٢) **بلاد الخطا:** بكسر الخاء المعجمة وطاء مهملة ، والالف في الأخير ، وهم جنس من الترك ، بلادهم متاخمة لبلاد الصين . ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر،ج٧(الدر المطلوب) ،٣٧٢ ؛ ابن بطوطة ، الرحلة ،ج٢ ،ص٤٩٧ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص٤٨١.

(٣) كنز الدرر،ج٧(الدر المطلوب)،ص-ص٣٧٢ -٣٧٣ .

أسهم فيها، منها على سبيل المثال، مشاركته في واقعة عين جالوت **عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م**[١].

اما فيما خص والد ابن أيبك الدواداري الذي ذكرته المصادر باسم (عبدالله)، فقد أورد في كتابه كنز الدرر أن والده حينما كان في السابعة عشرة من عمره تولاه الأمير حسام الدين الألفي الذي كان دواداراً للسلطان الظاهر بيبرس عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م بالرعاية والاهتمام حتى قال: (فعرف الامير له حقه ورباه كالولد)، ثم عاد من عند هذا الأمير الى بيت السلطان الظاهر بيبرس، الذي منحه إقطاع عبرة[٢]، الفين واربعمائة دينار ثم سلمه الى الأمير سيف الدين بلبان الرومي الدواداري الذي نُسِبَ إليه[٣].

ويحدثنا ايضا، بأن والده ولي عام ٦٩٩هـ /١٢٩٩م في عهد السلطان الناصر محمد أعمال الشرقية **وإمارة العربان**[٤]، وبقي فيها حتى عام ٧١٠هـ /١٣١٠م، عندما طلب من السلطان الناصر محمد إعفاءه، فاستعفاه وانتقاله إلى الشام بسؤاله[٥]، وجعله **مهمندارا**[٦]، ثم أُلزم **بشد الدواوين**[٧] بدمشق، فبقي فيها حتى توفي عام

(١) كنز الدرر، ج٨ (الدرة الزكية)، ص٢٥، ٥٠.

(٢) **إقطاع عبرة:** مقدار المربوط من الأموال على كل إقطاع من الأرض أي (إيراد) ، أو هي معدل الدخل السنوي للإقطاع في السنوات الخصبة والمجدبة . البيومي، اسماعيل ، النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م) ، ص٤٠٠؛ محمد علي، **الجوانب المالية في كتاب صبح الاعشى**، ص١٩٩.

(٣) كنز الدرر،ج٧(الدر المطلوب) ، ص٣٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٩(الدر الفاخر)، ص٢٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٧(الدر المطلوب) ، ص-ص٣٧٢-٣٧٣.

(٦) **المهمندار :** مركبة من لفظين فارسيين ،أحدهما (مهمن) بفتح الميمين ومعناها (الضيف) ، والثاني تأتي صاحب (دار) معناها(ممسك) ، وبذلك يكون معناها (ممسك الضيف) ،اي الذي يستقبل الرسل والضيوف الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ، ويتحدث في القيام بأمرهم . ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر،ج٩(الدر الفاخر)، ص٢٠٩ ؛ القلقشندي , صبح الاعشى ،ج٥ ،ص٤٣١.

(٧) **شد الدواوين:** موضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير ، متحدثا في إستخلاص الأموال . القلقشندي، صبح الاعشى ،ج٤،ص٢٣ .

٧١٣هـ/١٣١٣م على اثر وقوعه من فرسه، أثناء قيامه بمهمة رسمية في تفتيش القلاع، عند مروره بوادي الزرقا في الأردن، قاصدا قلعة عجلون، ودفن في أذرعات، بقرب والديه[١]، ويمكن القول إنّ دور والده لم يقتصر فقط في هذه الجوانب التي ذُكرت بل كان له دور مهم على مسرح الأحداث، إذ كان يوكل له السلطان الناصر محمد مهمات رسمية كثيرة منها على سبيل المثال: أرساله مع جماعة من أمراء دمشق لكشف أحوال الرحبة[٢]، وتحري كيفية نزول التتار عليها[٣].

اما والدة ابن أيبك الدواداي، فقد أورد عنها بعض الإشارات، في حادثة مرض أخيه الأكبر، إذ ذكر أنّه في عام ٦٩٤ هـ/١٢٩٥م، " **كان قد جرد الوالد والاخوة والعم الى برقة[٤] معمن [كذا] جرّد، فرجع الجميع مرضا[كذا]، فأما الاخ الكبير، فحضّروا الحكماء الذين كانوا يباشرونهم، فاجمعوا رايهم ان يصنع للاخ في تلك الساعة اربع فراريج ،...ولم يكن في تلك الساعة عندهم فراريج حاصله، ...ففكت الوالدة من يديها زوج اسورة خمسين دينار عين، وسيروهم حتى رهنوهم على اربعة فراريج . ثم أنه لم يعش حتى استووا رحمه الله تعالى**"[٥].

---

(١) كنز الدرر ،ج٩(الدر الفاخر) ،ص٢٠٩ .

(٢) **الرحبة:** هي بلدة رحوبوث الواردة في التوراة، على شاطئ الفرات. يقيم فيها نحو ألفي يهودي، على رأسهم الرّابيون حزقية وإهود وإسحاق. ويستدير بالمدينة سور. وهي واسعة الأرجاء، جميلة الرواء، محكمة البنيان، حولها الرياض والبساتين. بنيامين التطلي، الرابي يونة النباري الإسباني اليهودي (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، **رحلة بنيامين التطيلي**، ط١(أبو ظبي: المجمع الثقافي،١٤٢٣هـ /٢٠٠٢ م)، ص٢٨٩.

(٣) كنز الدرر، ج٩ (الدر الفاخر)، ص-ص٢٦٦-١٦٧.

(٤) **برقة:** بفتح أوله والقاف: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٨٨.

(٥) كنز الدرر، ج٨ (الدرة الزكية)، ص- ص ٣٦٤-٣٦٥.

كما نوهت المصادر الى عم ابن أيبك الدواداري أنّه يُدعى ابراهيم، إذ كان ولد جارية تبنّاه الأمير عز الدين المعظمي، وأن وفاته كانت عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م[١].

أما ابن أيبك الدواداري نفسه فلا نعرف عنهُ شيئا سوى أنهُ نشأ في **حارة الباطلية**[٢]، إحدى حارات القاهرة، وعاش طفولته وصباه فيها، وانتقل مع عائلته إلى دمشق عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠م[٣]، وكان منذ سن الفتوة مُحباً للشعر، ومغرماً بالأخبار الأدبية ومسائل السمر؛ لذلك دفعه حبه لدراسة الأدب الى تأليف كتب "هزلية" لكنهُ ندم على تأليفها في شيخوخته، كما جمع مختارات شعرية وكتباً في الأسمار والأخبار والأدب والمواعظ[٤]، فذكر ترددهُ للعلماء وبعض المتصوفين وذكر أخبارهم بقولهِ: " ... **وولّيت وجهي شطر الأئمة الفضلاء، وبسطت الحجر لالتقاط درر الشفاء ... ورويت عن الفضلاء من مشارقها ومغاربها** ..."[٥] إلا اننا لم نجد في تاريخهُ ذكراً لهؤلاء العلماء الذين تردد إليهم وروى عنهم، فضلا عن كتب التراجم أو التاريخ الأخرى.

---

(١) **سبط بن الجوزي** ، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٤٠٢؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص ١٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٨، ص ١٦٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص٢١٦ ؛ ابن دقماق ، نزهة الأنام، ص١٧٤ ؛ المقريزي، **تاريخ المقريزي الكبير المسمى المقفى الكبير**، تح: محمد عثمان، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج١، ص١٠٢.

(٢) **حارة الباطلية:** عرفت بطائفة يقال لهم الباطلية، وذكر أنّ المعز لدين الله العبيدي لما قسم العطاء في الناس جاءته طائفة فسألته عطاء فقيل لها، افرغ ما كان حاضرا ولم يبق شيء، فقالوا، رحنا نحن بالباطل فسموا بالباطلية. ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر،ج٩(الدر الفاخر)، ص١٣٢؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٤٦.

(٣) كنز الدرر، ج٩(الدر الفاخر)، ص٢٠٩.

(٤) انظر مثلاً: المصدر نفسه، ج١(الدرة العليا)، ص٢٧٥، ج٧ (الدر المطلوب)، ص٢١٨.

(٥) كنز الدرر، ج١(الدرة العليا)، ص-ص٦، ٧؛ المنجد، مقدمة تحقيق ، كنز الدرر، ج٦(الدرة المضية)، ص١٢.

كما عرفنا عن المؤلف ايضاً اقتنائهُ الكتب النادرة أو المستنسخة، وأنهُ حرص طوال عُمرهِ على زيارة المكتبات والوراقين فاجتمعت عنده في النهاية مكتبة خاصة فريدة من نوعها(١).

كما كان لأبن أيبك أخوان أسنّ منهُ بدليل قولهِ: " **وكان للعبد اخوين [كذا] أكبر مني، وكان القاضي تاج الدين اذا هلّ الشهر يسير يطلبنا الثلاث ويبصر الهلال على وجوهنا**"(٢)، الا أنهُ لم يذكر أية تفاصيل عنهم، فلم نعرف ما إذا كان لهم دور في الحياة العامة كجده وأبيه أم لا.

رابعاً: وظيفته

لم تشر المصادر المعاصرة إلى الوظائف التي تقلدها، إلا إنه أورد نصاً في كتابه(كنز الدرر)، يشير الى عمله في البريد بقوله: "**وكان العبد قد توجّه على البريد لتجهيز الخيول بالمنازل لأجل توجُّه القاضي كريم الدين الكبير**(٣) **إلى القدس** "(٤).

خامسا : مؤلفاته

دفع الشغف العلمي ابن أيبك الدواداري الى التأليف في فنون شتى، شملت علوما مختلفة في الأدب والتاريخ، فصنف عدداً من المؤلفات وابرزها :

---

(١) كنز الدرر،ج٥(الدرة السنية)، ص٣٨٢؛ كرافولسكي، مقدمة تحقيق كنز الدرر، ج٥(الدرة السنية) ، ص ز.

(٢) كنز الدرر، ج٨ (الدرة الزكية)، ص٤٣.

(٣) **القاضي كريم الدين الكبير**: عبد الْكَرِيم بن هبة الله بن السديد الْمصْرِيّ القَاضِي النَّبِيل الْجَلِيل الْمُدبر كريم الدّين أَبُو الْفَضَائِل الْكَبِير ابْن الْعلم وَكيل السُّلْطَان الْملك النَّاصِر مُحَمَّد بن قلاوون وناظر خواصه ومدبر دولته. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٦٦.

(٤) كنز الدرر، ج٩(الدر الفاخر)، ص-ص٣٠١-٣٠٢.

١- حدائق الأحداق، ودقائق الحُذاق

كتاب أدبي اهداه إلى صديقه القاضي علاء الدين ابن الأثير (-٧٣٠ هـ/ ١٣٢٩م)، بقوله: " **...ووسمته باسم القاضي علاء الدين ابن الأثير برّد الله ضريحه لما كان بيني وبينه من الأخوّة والصحبة القديمة من الصغر**"(١)، وصفه بأنه يشتمل على معانٍ دقيقة واشعار رقيقة اختلف في ذكره لمعلومات اجزاء الكتاب فمرة يذكر بأنه يتكون من جزأين يجم اثنتي عشرة حديقة، وكل حديقة لها عشرة أبواب من فنون الأدب، ومرة يشير في موضع آخر من كتابه (كنز الدرر) بأنه يشتمل على أربعة اجزاء جامع لفنون الأدب وعيون النخب(٢).

٢- تبر المطالب وكفاية الطالب

يعد من الكتب الادبية ويتكون من أربعة أجزاء لخَّص فيه آثني عشر كتاباً من كتب الأدب ، مثل كتاب زهر الآداب(**لأبي اسحاق القيرواني (ت٤١٣هـ/١٠٦١م)**، وكتاب تباشير الشراب **(لابن المعتز (ت ٢٩٦هـ/٩٠٩م)**، وكتاب الحيوان(**للجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م)**، وكتاب الخراج **(لأبي يوسف القاضي (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)**، وكتاب أبكار الأفكار **(كتاب مفقود)**، وكتاب ملح الملح لدلال الكتب **(سعد بن علي(ت٥٦٨هـ/١١٧٢م)**، وكتاب كنز البراعة**(كتاب مفقود)**، وكتاب الكامل**(للمبرد (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م)**، وكتاب أدب الكاتب(**للصولي (ت٣٣٥هـ/٩٤٧)**، وكتاب الصادح والباغم **(لابن الهبارية (ت٥٠٩هـ/١١١٥م)**، وكتاب المستجاد من فعلات الأجواد **(للتنوخي (ت٣٨٤هـ/٩٤٤م)** ، وكتاب جامع اللذّة (**لعلي القزويني (ت٦٧٥هـ/١٢٧٧هـ)**(٣).

---

(١) كنز الدرر، ج١ (الدرة السنية) ،ج٥، ص١٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١ (الدرة العليا)، ص٢٧٥ ،ج٥، ص١٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١(الدرة العليا)، ص٢٧٥ ، ج٥، ص١٩٤.

٣- ذخائر الأخائر

يعد ايضا من الكتب الأدبية في جزء، جاء تسميته نسبة الى القاضي المرحوم فخر الدين ناظر الجيوش المنصور، وكان يتألف من ثلاث ذخائر في مجلد واحد:

الأولى: ذخيرة الدرّ الثمين في ذكر الأوائل والمتقدّمين.

الثانية: ذخيرة الياقوت البهرمان في تأييد تنزيل القرآن بالدلائل القاطعة والبرهان.

الثالثة: ذخيرة اللؤلؤ والمرجان في خصائص البلدان[١].

٤- معادن الجوهر ورياض العنبر

هو من كتبه الأدبية، الذي يتكون من جزء واحد، جمع فيه ثلاثة معادن في عدة فنون من الأدب[٢].

٥-أعيان الأمثال، وأمثال الأعيان

ألف هذا الكتاب قبل وضعه لكنز الدرر، وقال : (و له في معانيه مشارك) أي قرب فكرته ومضمونه من كتاب كنز الدرر، جاءت تسميته له بعد اطلاعه واقتباس فكرته من (كتاب كليلة و دمنة)، إذ يقول: " **وحذوت فيه حذو كليلة ودمنة، وأقمت مقام كلّ حكاية من حكاياته واقعة من نكت التاريخ تليق في مكانها...، وأسّست بناءه على إقامة اسمين مجهولين أحدهما على صورة تنّين وسمّيته بناطق الطنين، والآخر صورة ثعلب وسمّيته حاذق الأمين**"[٣]، **فوقع غريب في أمثاله لا يوجد مثاله، إذ هو إسلامي جاهلي، عربي عجمي، ملوكي سوقي، خاصي عامي**[٤] .

---

(١) كنز الدرر ،ج١ (الدرة العليا)، ص٢٧٥ .

(٢) المصدر نفسه، ج١(الدرة العليا)، ص٢٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٥(الدرة السنية)، ص١٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١(الدرة العليا)، ص٢٧٦.

ويذكر ابن أيبك الدواداري أنّ كتابه يتكون من اثنتي عشرة محاضرة بينهما في موضع اخر يذكر عشر محاضرات، والرأي الاصح الا وهو عشرة محاضرات وهي[١]:

الأولى: المحاضرة الربيعيّة ممّا تزهو على الدرّ المنثور في تشابيه الفواكه والزهور، وهى التي أثبتها بجملتها في هذا التأريخ إذ كلّ سمع للذّة سماعها يسيح.

الثانية: المحاضرة الأوائليّة، التي بأخبار[كذا] الأمم القديمة مليّة، وقد لخّصت منها في هذا التأريخ أيضا، ممّا يزهو بحسنه على الفضّة البيضاء.

الثالثة: المحاضرة النبويّة المشرّفة بذكر خير البريّة.

الرابعة: المحاضرة الخليفيّة التى كلّ القلوب إلى سماعها مشتهية، وهذه المحاضرة والتي قبلها وما بعدها من هذا الباب، موفرة إجلالاً لذلك الكتاب، لئلا يكن [كذا] قد أغرنا على جملته، وأضعنا حرمته.

الخامسة: المحاضرة الملوكية، أولى المعاني الزكية

السادسة: المحاضرة الوزرائيّة، التى لأولى الفضل مرضيّة.

السابعة: المحاضرة القضائيّة التى عن العلماء مرويّة.

الثامنة: المحاضرة الشعرائيّة المشتملة على ذكر الشعراء الأوائليّة والعصريّة.

التاسعة: المحاضرة الفلسفية الصادرة عن أقوال الحكماء المسميّة.

العاشرة: المحاضرة النجوميّة، المشتملة على ذكر الأفلاك العليّة.

٦-عادات السادات، سادات العادات، في مناقب الشيخ ابي السعادات[٢]

لم يتوفر لدينا معلومات حول هذا الكتاب، سوى ما اشار إليه ابن أيبك الدواداري في كتابه (كنز الدرر) بانه يتكون من جزء واحد.

---

(١) كنز الدرر ، ج١(الدرة العليا)، ص-ص٢٧٦-٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٩(الدر الفاخر)، ص١٥٤.

٧-اللقط الباهر في خطط القاهرة، له اسم اخر (الروضة الزاهرة في خطط القاهرة)

ذكر ابن أيبك الدواداري أنه بعد فراغه من كتاب كنز الدرر، ألف كتاباً يتضمن خطط القاهرة سماه **(الروضة الزاهرة في خطط القاهرة)**، تتمة لكتاب **(الروضة البهية في خطط القاهرة المعزية)** للقاضي ابن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، ربما لم تسعه المنية في تأليفه [١].

٨-النكت المملوكية إلى الدولة التركية

وهو من الكتب الادبية ايضا، لم يتوفر معلومات عنه، سوى انه يتكون من مجلد واحد وقيل مجلدين[٢].

ومما يؤسف له أن هذه المؤلفات لم تصلنا واقتصرت معرفتنا بها عند ذكر مؤلفنا لها، ويبدو أن بعضها أدبي، ولكن من حسن الحظ بقى من مؤلفاته كتابانِ، ويعدان من أهم الكتب التاريخية وهما :

١- تاريخ موجز بعنوان **(درر التيجان وغرر تواريخ الزمان)**، وهو في التاريخ العام ولكن بشكل مختصر في مجلد واحد، بدأه منذ زمن آدم (عليه السلام)، وانتهى به إلى عام ٧١٠ هـ/١٣١٠م، وقد أضاف اليه، فضلا عن ذكر الحوادث، تراجم الخلفاء والملوك والوزراء والعلماء والأدباء والشعراء والأطباء، بخلاف الكتاب الثاني الذي جعله للحوادث والدول، ولم يطبع هذا التاريخ بعد، ومنه نسخة مخطوطة في ٦٧٦ ورقة في مكتبة أحمد خان في استانبول (مصورة في دار الكتب المصرية رقم ٢٦٠٥، ونسخة أخرى في داماد إبراهيم باشا برقم ٩١٣ باستانبول)، ونسخة ثالثة

(١) كنز الدرر، ج٦ (الدرة المضية)، ص١٤٢.

(٢) السخاوي ، الإعلان ، ج١،ص٣٣٣ ؛ مصطفى ،التاريخ العربي ،ص١٢٣.

في بلدية الإسكندرية برقم ٣٨٢٨، ولكنها ناقصة الأول والأخر، عدد أوراقها تقريبا ٢٥٠ ويبدو أنهّا بخط المؤلف[١] .

٢-تاريخ موسوعي بعنوان (**كنز الدرر وجامع الغرر**[٢])، وجعله في تسعة مجلدات، ويعد ضمن إطار كتب التاريخ العام، بدأ به منذ بدء الخليقة إلى عصره، وجعل كل جزء يختص بدولة، واختص كل جزء باسمين عام وخاص، فالاسم العام معروف ب(كنز الدرر وجامع الغرر)، اما الاسم الخاص فيتكون من فرعين: اساسّ وثانويّ، فالأول يتعلق بمضوع الكتاب والثاني يرتبط بفلك من افلاك السماء التسع، وأسمائها هي:

أ- نزهة البشر، من قسمة فلك القمر، المسمّى: بالدرّة [كذا] العليا في أخبار بدء الدنيا.

ب- علّة الوارد من نسمة عطارد، المسمّى: الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة.

ت- المشرف بالقدرة، من قسمة فلك الزهرة، المسمّى: الدر الثمين في أخبار سيّد المرسلين والخلفاء الراشدين.

ث- بغية النفس من قسمة فلك الشمس، المسمّى: الدرّة السميّة فى أخبار الدولة الأمويّة.

ج- الذى كلّ سمع له نسيخ ، من قسمة فلك المرّيخ، المسمّى: الدرّة السنيّة في أخبار الدولة العبّاسيّة[٣].

ح- الفائق صحاح الجوهري، من قسمة فلك المشترى، المسمّى: الدرّة المضيّة في أخبار الدولة الفاطميّة.

---

(١) المنجد ، مقدمة تحقيق كنز الدرر ،ج٦(الدرة المضية)، ص١٣ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٣، ص٦٥ ؛ الزركلي ، الاعلام ،ج٢، ص٦٦ ؛ مصطفى ،التاريخ العربي ،ص١٢٥ .

(٢) **الغرر**: الغرة من القوم سيدهم وشريفهم. عمر، معجم اللغة، ج٢، ص١٦٠٦.

(٣) كنز الدرر، ج١(الدرة العليا)، ص١٠.

خ- شهد النحل من قسمة فلك زحل وهو: الدر المطلوب في أخبار دولة بنى أيوب.

د- زهر المروج من قسمة فلك البروج وهو: الدرة الزكية في أخبار دولة الملوك التركية.

ذ- الجوهر الأنفس من قسمة الفلك الأطلس وهو: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر[١].

وقد نشر المعهد الألماني في القاهرة جميع اجزائه، الا ان البعض منها طبع في القاهرة والبعض الاخر في بيروت بتحقيق كل من :

أ- الجزء الأول **بتحقيق بيرند راتكة وطبع في القاهرة عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.**

ب- الجزء الثاني **بتحقيق إدوارد بدين وطبع في بيروت عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.**

ت- الجزء الثالث **بتحقيق محمد السعيد جمال الدين وطبع في القاهرة عام١٤٠٢هـ/١٩٨١م.**

ث- الجزء الرابع **بتحقيق جونهيلد جراف اريكا جلاسِن وطبع في بيروت عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.**

ج- الجزء الخامس **بتحقيق دوروتيا كرافولسكي وطبع في بيروت عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.**

ح- الجزء السادس **بتحقيق صلاح الدين المنجد وطبع في القاهرة عام ١٣٨٠هـ/١٩٦١ م.**

خ- الجزء السابع **بتحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور وطبع في القاهرة عام١٣٩١ هـ/١٩٧٢ م .**

---

(١) كنز الدرر ،ج١(الدرة العليا)، ص-ص١٠-١١.

د- الجزء الثامن **بتحقيق أُولْرِخ هارمان وطبع في القاهرة عام ١٣٩١ هـ /١٩٧١م.**

ذ- الجزء التاسع **بتحقيق هانس رُوبرت رويمر وطبع في القاهرة عام ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.**

سادسا : وفاته

لانعرف بالضبط متى توفي ابن أيبك الدواداري، إذ لم تورد المصادر الأولية عام وفاته، وربما يعود السبب، الى جهل المؤرخين المعاصرين له، لكونه بدأ تدوين كتابه في ختام عمره، وانه فرغ منه قبل وفاته، لذلك لم تسعفه المنية في تحقيق الشهرة في عصره، او ربما كان منعزلا بسبب انشغاله تدوين وجمع المعلومات لموسوعته، لهذا لم يكن معروفاً، ومهما كانت الأسباب ،إلا انه تمكن من جعل مصنفه خالداً بعمله.

وعلى الرغم من ذلك رجحت بعض المراجع الحديثة عام وفاته، فذكرت المستشرقة الألمانية كرافولسكي محققة جزئه الخامس، أنه توفي عام ٧٣٧هـ /١٣٣٦م[١]، في حين ذكر عمر رضا كحالة أنّ وفاته عام ٧٣٢هـ /١٣٣١م[٢]، إلا ان كلاً من صلاح الدين المنجد محقق جزئه السادس و الزركلي اتفقا على أن عام وفاته كان بعد ٧٣٦هـ/١٣٣٥م[٣]، ويمكن ترجيح عام وفاته ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، بدليل انه وقف في حوادث تاريخه عند عام ٧٣٥هـ /١٣٣٤م، وفرغ منه مستهل سنة ست وثلاثين وسبع مائة، أي بداية هذه السنة، وانقطعت أخباره بعد ذلك[٤].

---

(١) مقدمة تحقيق ،كنز الدرر، ج٦ (الدرة السنية) ،ص و.

(٢) معجم المؤلفين، ج٣، ص٦٥.

(٣) مقدمة تحقيق كنز الدرر ، ج٦(الدرة المضية) ،ص٧ ؛ الأعلام ، ج٢، ص٦٦.

(٤) كنز الدرر ،ج٩(الدر الفاخر) ، ص٤٠٢.

سابعا : أقوال المؤلفين والباحثين في كتابه

لقد تعددت أراء المؤلفين والباحثين المحدثين فيه، إذ لم نجد آراًء للعلماء الاقدمين فيه على الرغم من اعتماد بعضهم عليه مصدراً تاريخيّاً، وأبرز هذه الآراء هي:

١- محمود محمد الطناحي

صاحب كتاب **(صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب)** قال عنه : إنه كان منحازاً للسلطان محمد الناصر بن قلاوون، لأنه كان يعمل في بلاطه[١]، الا أن ابن أيبك الدواداري لم يذكر نصاً يدل على عمله في بلاطه، سوى علاقته الحسنة معه.

٢- محمد جمال بارون

مؤلف كتاب **(حملات كسروان في التاريخ السياسي لفتاوى ابن تيمية)** فقال عنه: كانت رؤيته السردية محكومة بالكراهية الشديدة للسلطان بيدرا (٦٩٣هـ /١٢٩٣م) إلى درجة أنه وصفه بـ (**الملك العاهر لا القاهر**)بعد قتله الأشرف وتسلطنه تحت أسم (القاهر)، كما كان شديد العداء لمن قتلوا الأشرف ووصفهم بـ(**الأمراء الخاينين**)[٢].

فعلى الرغم من أراء الباحثين فيه ونظرتهم إليه، ألا أن موسوعته تعد متميزة لكونها وثيقة تاريخية مهمة لأحداث العصر المملوكي.

---

(١) ط١(بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٤٢هـ/٢٠٠م)، ص٣٠٧.

(٢) ط١ (بيروت: المركز العربي للأبحاث و دراسات السياسية ،١٤٣٨هـ /٢٠١٧م) ،ص٣٠٧.

المبحث الثالث

كتاب كنز الدرر وجامع الغرر

اولاً : تسمية الكتاب

ذكره ابن أيبك الدواداري باسم (كنز الدرر وجامع الغرر)، بعد أن جمع فيه الدرر النفيسة والغرر الرئيسة، إذ ذُكر فيما مضى بأنه سمَّى كل جزء من أجزائه التسعة بتسمية خاصة حسب العصر الذي خصصه له، وأن عمله هذا لم يسبق إليه أحد في عصره، لذلك يعد المؤلف مبتكراً لا مقلداً و محاكياً[١].

ثانياً : سبب التأليف

أوضح ابن أيبك الدواداري في مقدمة كتابه الأسباب التي دعته الى تأليف الكتاب، بقوله: " **قصدت أن أتتبع آثار الداثر، وأتشبّثّ بشيء من الدارس فى ذا الزمان الفاتر، لعلّي أبلغ الأسباب وأُضاف إلى جملة عبيد السادة الكتّاب** ..."[٢]

كما أن هناك اسبابا أخرى دعته إلى تأليفه، يمكن ذكرها على الشكل الآتي :

١- التوجه العام للتأليف التاريخي عن مصر حينذاك دعته الى التفكير بكتابة عمل تاريخي شامل يتجلى ذكره بين المؤرخين المسلمين، إذ عُدّت مصر حينذاك على وجه الخصوص مركزاً لدار الإسلام من الناحيتين السياسية و الثقافية، بعد إحياء الخلافة العباسية في مصر، فضلا عن تشجيع السلاطين المماليك للعلم والعلماء، فكانَ الدافع وراء تلك الاعمال العلمية الشاملة[٣].

---

(١) كنز الدرر،ج١(الدرة العليا) ،ص١١ .

(٢) المصدر نفسه، ج١(الدرة العليا) ،ص٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٦(الدرة المضية)، ص٣٥٣؛ كرافولسكي ، مقدمة تحقيق كنز الدرر ،ج٥(الدرة السنية) ،ص-ص ح-ي.

٢- تشجيعه من قبل الأصدقاء والرفاق، الذين كانوا يجتمعون للحديث والمطارحات الشعرية والاسمار، في بدء كتابة مؤلفه(١).

٣- كما أن الأدبيات التاريخية العربية التي عرفها أثناء عمله في جمع الموارد لأعماله الأدبية شجعته على تأليف هذا الكتاب(٢).

٤- والسبب الرئيس الذي ذكره ابن أيبك في مقدمة كتابه، هو أنه وضع الكتاب كله لأجل السلطان الناصر محمد بن قلاوون. بقوله : "**فوضعت هذا التاريخ اللطيف مشَّرفاً بالاسم السلطاني الناصري الشريف** "(٣).

وهذا يعني أن ابن أيبك الدواداري كانت تربطه علاقة حسنة بالسلطان الناصر محمد ابن قلاوون، مما جعله يؤلف هذا التاريخ لأجله .

كما ذكر ان من أسباب تأليفه هو إحياء أخبار الماضي بقوله: "... **وأحيت [كذا] ما دثر من الأفاضل ممن انقضا [كذا] ومضا [كذا]، الذين بأسنّة براعتهم يُضرب المثل...**"(٤).

ثالثا : تاريخ تأليف الكتاب

ذكر المؤلف، بأنه جمع المادة لعمله التاريخي عام ٧٠٩ هـ/١٣٠٩م، على شكل مسودات بقوله: " **وكان الابتداء في الاشتغال بمسوّداته، وجمع نوادره ومستطرفاته وتحصيل أخباره وحكاياته في سنة تسع وسبعمائة العربيّة للهجرة النبوية ...**"(٥).

---

(١) كنز الدرر، ج٧(الدر المطلوب)، ص٢١٨ ، كرافولسكي ، مقدمة تحقيق كنز الدرر ،ج٥(الدرة السنية)، ص ز.

(٢) كنز الدرر، ج٥(الدرة السنية)، ص٣٨٢، كرافولسكي ، مقدمة تحقيق كنز الدرر،ج٥(الدرة السنية)، ص ي.

(٣) كنز الدرر، ج١ (الدرة العليا)،ص٧ ،المنجد ، مقدمة تحقيق كنز الدرر ،ج٦(الدرة المضية) ، ص١٦.

(٤) كنز الدرر، ج١(الدرة العليا)، ص٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١(الدرة العليا)، ص٨.

رابعاً: موضوع الكتاب

يعد كتاب (كنز الدرر وجامع الغرر) من كتب التاريخ العام، إذ يعد من ضمن الكتب الأكثر قدرة على الوصف الدقيق للأحداث، إذ يحتوي على مقدمة و تسعة اجزاء كل جزء يتناول الحديث عن مدة زمنية، لذا تناول في جزئه الأول بدء الخلق والمخلوقات والقضايا ذات الصلة، مثل شكل الكون والأرض والمناطق السبع للجبال والبحار والجزر، وتحدث في جزئه الثاني عن خلق ادم عليه السلام، ومن تلاه من الأنبياء والمرسلين، فضلا عن ذكره الأمم القديمة، وفي جزئه الثالث عن السيرة النبوية والخلفاء الراشدين ،اما الجزء الرابع فتحدث فيه عن الدولة الأموية في المشرق والمغرب، وجزؤُهُ الخامس في تاريخ الدولة العباسية، وجزؤه السادس في تاريخ الدولة الفاطمية، وجزئه السابع في تاريخ الدولة الأيوبية، والجزءان الثامن والتاسع عن الدولة التركية (دولة المماليك).

خامساً: أهمية الكتاب

يعد كتاب (كنز الدرر وجامع الغرر) من أوثق وأوفى الكتب في كونه يؤرخ لحقبة طويلة منذ بدء خلق آدم (عليه السلام) إلى عصره، فأبن أيبك عاش حياته كلها تقريبا في العهد الأول لدولة المماليك البحرية.

إن هذه الحقبة بالذات جعلت كتابه يحيط بما لم يحط به غيره علما، لكونه شاهد عيان على بعض الأحداث ونقل الأحداث التي لم يشاهدها عن ابيه وجده، وصلته القوية ببعض بقايا ملوك بني أيوب، جعله يطّلع على الكثير من أسرارهم، إذ كانت تربطه صداقة **بالملك الكامل**[1] من ولد الملك الصالح اسماعيل صاحب الشام إذ يقول

---

(١) **الملك الكامل:** ناصر الدين محمد من ولد اسمعيل بن العادل، عرفة عنه بالكرم والسماحة، فاضل، راو من كل فن حسن، وكان مع ذلك كثير المزح والخلاعة، طيب المحاضرة، لذيذ المفاكهة، توفي عام ٧٣٠ هـ/١٣٢٩م. كنز الدرر، ج٧(الدر المطلوب)، ص٥، ج٨(الدرة الزكية)، ص٢٧٥.

عنه : " **وكان حصل بيني وبينه من الصحبة ما كان يطلعني على كثير من أسراره**"(١).

وفضلاً عن ذلك قدم معلومات قيمة عن مختلف العصور التاريخية القديمة، والعصور الإسلامية، بدءاً من عهد الرسول الى العصر المملوكي(٢).

ويزداد عليه تدوينه لأخبار الأنبياء، وأخبار الخلفاء، والسلاطين، ورجالات الدولة(٣) وأخبار الغرائب والعجائب والطرائف التاريخية التي لا تجد لكثير منها أثراً في بقية المصادر المعاصرة(٤).

كما دون ابن أيبك الدواداري في سياق الحديث عن جوانب اجتماعية من حياة السلاطين المماليك، المتمثلة بعقد القران و زواج السلاطين والأمراء، كزواج الملك المعز **بشجر الدر**(٥) وغيرها من الأمثلة(٦).

---

(١) كنز الدرر،ج٧(الدر المطلوب) ، ص٥

(٢) انظر مثلاً: المصدر نفسه، ج١ (الدرة العليا) ، ص٨٤، ٨٩، ٩١، ج٢، ص٨١، ٣٠٣، ٣٣٤، ج٣، ص٥، ٨٢، ١٧٠، ج٤(الدرة السمية)، ص١٢٤، ١٢٧، ١٣٢، ج٥(الدرة السنية) ، ص٢٢٢، ٢٩٤، ٣١٣، ج٦، ص٤٠، ١١٠، ٤٠٠، ج٧ (الدر لمطلوب) ، ص٥، ٤٧، ٨٤، ج٨(الدرة الزكية)، ص ١٢، ٣٩، ٤٩، ج٩(الدر الفاخر)، ص٥،٥٦ ،١٥٦.

(٣) انظر مثلا: المصدر نفسه، ج٢(الدر اليتيمة)، ص٢٧، ٧١، ٢٠٧، ج٣(الدر الثمين)، ص١٥٣، ١٧٠، ٢٥٤، ج٤ (الدرة السمية)، ص ١٢٤، ١٣٢، ٢٤٤، ج٥ (الدرة السنية)، ص٦، ١٠٣، ١٠٦، ج٦(الدرة المضية)، ص١١٠، ١١٥، ١١٩، ج٧(الدر المطلوب)، ص٥٠، ١٦، ٢٠٩ ، ج٨(الدرة الزكية)، ص٣٦٠،٣٠٠ ،٣٦٢ ،ج٩ (الدر الفاخر)،ص١٥٧،١٤،١٣.

(٤) انظر مثلاً: المصدر نفسه، ج٥(الدرة السنية)، ص٢٤٤، ١٢٢، ٢١٤، ج٦(الدرة المضية)، ص٢٣٧، ٢٩٣، ٣٧١، ج٨(الدرة الزكية)، ص٨٠، ٣٠٠، ٣٥٨.

(٥) كنز الدرر ،ج٧(الدر المطلوب) .

(٦) المصدر نفسه، ج٨ (الدرة الزكية)،ص٢٠ .

واهتم ايضا بذكر الجوانب الجغرافية و الطبيعية، كالأنهار والجبال والوديان، فضلاً عن ذكره الكوارث الطبيعية من زلازل و فيضانات، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ذكر في أحداث عام ٧٠٢هـ: " **لمّا كان يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ذى الحجّة قبل طلوع الشمس زلزلت الأرض زلزالا شديدا لم يعهد بمصر مثلها من قبل** "(١).

فضلاً عن اهتمامه بذكر الجانب الاقتصادي و ما يتعلق به من غلاء الاسعار بسبب ما تعرضت له مصر وبلاد الشام من حروب ادت إلى زيادة الاسعار، ومثال ذلك، ما حدث عام ٦٥٩هـ /١٢٦١م حينما أغار التتار على حلب "...**واخرجوا من كان بها من الرجال و النساء ولم يبق بها الا من ضعف عن الحركة ...ولم يتركوا احدا يخرج منها، ولا يدخل إليها، و اقاموا على ذلك اربعة اشهر ؛فغلت الاسعار، و قلت الاقوات...**"(٢)، ويتحدث ايضا عن الآفات الزراعية التي تسببت في الغلاء، كقوله " **و فيها خرج على الغلاء فار عظيم جدا بارض حوران**(٣) **و ارض الجولان**(٤) **واعمالها، حتى قدروا ما أكله فكان مقداره ثلاثمائة الف غراره [كذا] القمح غير الشعير**"(٥)، فضلا عن أثر الظواهر الطبيعية في هذا الغلاء(٦).

---

(١) كنز الدرر، ج٩(الدر الفاخر)، ص- ص١٠٠-١٠١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٨ (الدرة الزكية)، ص-ص٦٨-٦٩.

(٣) **حوران:** بالفتح، يجوز أن يكون من حار يحور حررا، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من النّقصان بعد الزيادة، وحوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار. ياقوت الحموي، معجم، ج٢، ص٣١٧.

(٤) **الجولان:** بالفتح ثم السكون: قرية وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران. ياقوت الحموي، معجم، ج٢، ص١٨٨.

(٥) كنز الدرر، ج٨(الدرة الزكية)، ص٨٥.

(٦) المصدر نفسه،ج٩(الدرة الزكية)،ص- ص ٤٥-٤٦.

كما تطرق إلى الأسواق والعملات النقدية، على نحو قوله: "**وفى ذى القعدة [عام٦٢٢هـ/١٢٢٥م] ضربت فلوس بالقلعة، وعادت من جملة النقود المتعامل بها، وتحرر القيمة عنها عن ستة عشر فلسا درهما من نقد مصر. ثم ضربت دراهم مستديرة، وهى هذه الدراهم المتعامل بها يومئذ المعروفة بالكاملية. وأمر السلطان الملك الكامل أن لا يتعامل بالدراهم القديمة المصرية. وصار كلما تحصَّل منها شيء يسبك ويعمل من الضرب الجديد**"[١].

علاوة على إشارته في ثنايا كتابه الى أمور مهمة ،جعلت له مزايا خاصة منها، تدوينه للأحداث الكبرى الرئيسة التي شهدها العصران الأيوبي والمملوكي، المتمثلة بالخطر الصليبي، و سقوط بغداد والشام على يد المغول، وتفكيك الدولة الخوارزمية[٢].

فضلاً عن حديثه عن صراع بني أيوب فيما بينهم على الحكم، والذي نتج عنه بزوغ نجم دولة المماليك التي أخذت على عاتقها حماية العالم الإسلامي من خطر الصليبيين والمغول[٣].

كذلك دون في ثنايا مؤلَّفه اخبار العربان (القبائل العربية) و ثوراتهم المستمرة ضد السلطنة المملوكية[٤]، فذكر في حادثة وفاة **السلطان الاشرف**[٥] عام

---

(١) كنز الدرر، ج٧(الدر المطلوب)، ص٢٧١.

(٢) انظر مثلاً : المصدر نفسه، ج٧(الدر المطلوب)، ص٤١، ٧٢، ٣٠٣، ٣١٩، ج٨(الدرة الزكية)، ص٢٩، ٣٠، ٣٤، ٥٦، .

(٣) انظر مثلاً : المصدر نفسه، ج٧(الدر المطلوب)، ص٥٠، ١٢٤، ٢١٢ ،ج٨ (الدرة الزكية)،ص٣٤ ،٤١، ٤٤ ، ج٩(الدر الفاخر)، ص١٢ ،١٢٧، ٢٥٥ .

(٤) انظر مثلاً: المصدر نفسه، ج٨(الدرة الزكية)، ص٣٤٨، ج٩(الدر الفاخر)، ص٦٣، ١١٤، ٣٠١.

(٥)**السلطان الاشرف:** صلاح الدنيا والدين خليل بن مولانا السلطان الشهيد سيف الدنيا والدين قلاوون الالفى الصالحى تولى السلطنة في الخامس عشر من ذي القعدة عام ٦٨٩هـ/ ١٢٨٩م ، وبقى فيها حتى وفاته عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م.للاستزادة انظر: المصدر نفسه، ج٨(الدرة الزكية)،ص- ص ٣٠٣-٣٤٨.

٦٩٣هـ/١٢٩٣م بأن العربان" ...نهبت... ما قدروا عليه بعد ما قتلوا وسفكوا وفعلوا كل قبيح" [١].

ودون ايضا في مؤلفه وثائق إدارية مكتوبة ، إذ أورد الكثير من الكتب الرسمية المتبادلة بين السلاطين والبلدان المجاورة [٢]، وذكر صوراً من أدب العصر[٣]، فضلاً عن أحاديثه عن أهل الذمة من النصارى واليهود[٤]، وبهذا يمكن القول إنّ كتابه يعد وثيقة تاريخية مهمة لكونه شاهد عيان لمجريات الحوادث في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

سادساً : منهجه و موارده

اعتمد ابن أيبك الدواداري المنهج التاريخي في عرض هيكلية مؤلفه على طريقة الحوليات، التي استخدمها محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ /٩٢٢م) في كتابه (تاريخ الرسل والملوك)[٥]، وتتم هذه الطريقة بترتيب الحوادث حسب السنين، فضلا عن تقديم

---

(١) انظر مثلاً: كنز الدرر، ج٨(الدرة الزكية)، ص٣٤٨.

(٢) انظر مثلاً: المصدر نفسه، ج٣(الدر الثمين)، ص٢٦٩، ٣٢١، ٤١١، ج٤(الدرة السمية)، ص٨٣، ٩٥، ١٢٥، ج٥(الدرة السنية)، ١٧٨، ٣٧٦، ج٦(الدرة المضية)، ٧٨، ١٤٩، ١٥٠، ج٧(الدر المطلوب)، ص٣٠، ٣٦٦، ٣٦٨، ج٨(الدرة الزكية)،ص١٠٩ ، ٢٥٤، ٤٤٩، ج٩(الدر الفاخر)،ص٤٩، ١١٩، ١٣٨.

(٣) انظر مثلاً: المصدر نفسه، ج٢(الدرة اليتيمة)، ص٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٩، ج٣(الدر الثمين)، ص٤١٤، ٤١٧، ٤١٧، ج٤(الدرة السمية)، ص٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ح٥(الدرة السنية)، ص٤١٦، ٤١٨، ٤٣٢، ج٦(الدرة المضية)، ص٥٧٣، ٥٧٩، ٥٩٧، ج٧(الدر المطلوب)، ص٣٩٢، ٣٩٤، ٤٠٠، ج٨(الدرة الزكية)، ص٣٨٥، ٣٩١،٣٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٩(الدر الفاخر) ، ص-ص٤٧-٥٠ .

(٥) العزاوي ، عبد الرحمن حسين ، **التاريخ و المؤرخون** ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ،١٤١٣هـ ،١٤١٣هـ /١٩٩٣م) ، ص-ص ١٣١-١٣٢.

ابن أيبك حالة نهر النيل من الزيادة والنقصان، قبل ذكر حوادث كل سنة من السنين[١]، وبدأ بهذا الشيء في السنة الهجرية الأولى على نحو قوله: "**ذكر إبتداء سياق ذكر النيل المبارك في أول كل عام من أول الهجرة** "[٢].

أما عرضه لمضمون الكتاب، فإنه اتبع طريقة سلفه من المؤرخين الذين كتبوا في التاريخ العام، ودونوا التاريخ منذ بدء البشرية إلى عصرهم، فيذكر خلال هذه الحقبة الطويلة ما وقع من أحداث وأخبار ووقائع، على وفق وحدة الموضوعات مع مراعاته التسلسل الزمني للأحداث، الا انه في بعض الأحيان يقدم موضوعاً على آخر بالرغم من حرصه على ترتيب الأحداث زمنياً، كما أنه يبين السبب مثلاً على تقديم خلق السماء على الأرض بقول: " **رأيت كثير من أرباب التواريخ يقدّمون ذكر خلق الأرضين وتأمّلت ذلك فلم أجد لهم دليلا على ذلك، ونظرت فإذا القرآن العظيم جميع آياته الشريفة تتضمّن تقدمة السموات على الأرض كقوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[٣]، وأنظارها في جميع الكتاب العزيز، فاقتديت بذلك وابتدأت**" [٤].

وفضلاً عن ذلك كان ابن أيبك الدواداري منظماً في ترتيب مواد كتابه، فيذكر ما لخص من حوادث، ثم يذكر اسماء من تولى مقاليد الحكم من الخلفاء والسلاطين ورجالات الدولة وملوك الدول المجاورة، إذ يورد تفاصيل كثيرة عنهم، ولاسيما الخلفاء

---

(١) انظر مثلا: كنز الدرر، ج٨(الدرة الزكية)، ص٢٨، ١٨٢، ٣٤٥، ج٩ ، ص ص٨٠ ، ٢١٠، ٣٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٣(الدر الثمين)، ص٥٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٤) كنز الدرر، ج١(الدرة العليا)، ص٣٠.

والسلاطين، فيذكر وقت توليهم الحكم ومدته، وتاريخ وفاتهم ،او عزلهم او مقتلهم، فضلا عن صفاتهم ومحاسنهم، ومعلومات موجزة عن الأحداث السياسية التي عاصروها[١]، علاوة على ذكره لأعقابهم من الذكور، والأمراء والوزراء والقضاة[٢] ، ويورد ايضا اخبار الشعراء ومختارات من شعرهم، وطرائف، وغرائب، والأنباء عن النوائب الطبيعية[٣]، وسنتحدث عن منهجه بالتفصيل في الفصل الثاني[٤].

وهكذا نجد ابن أيبك الدواداري في طليعة أولئك الذين كتبوا التاريخ بهذا الأسلوب.

أما موارده، فقد أشار الى المصادر التي نقل منها المعلومات، بعبارات دالّة مثل (قال، ذكر، حكى، روى، اعتمدت، سمعت ...وغير ذلك)

ففي بعض التراجم يبدأ في الغالب بنقله للنصوص بالإشارة الى المؤلف والكتاب، وفي بعض الاحيان يذكر آسم المؤلف او عنوان الكتاب فقط، مثلاً: " **قال الجوهري...**"[٥] ، **أو**" **قال ابن شداد صاحب السيرة**"[٦]، أو: " **قال محمد بن عبد الرحيم الرحيم البلخي**"، أو: " **في كتاب الشجرة...**"[٧].

---

(١) انظر مثلاً: كنز الدرر، ج٨(الدرة الزكية)، ص١٦٨، ٣٠٢، ٣٧٦، ج٩(الدرة الزكية)، ص ص٦٤، ٢٩٨، ٣٧٢.

(٢) انظر مثلاً: المصدر نفسه، ج٨ (الدرة الزكية)،ص٣٨٥، ٣٩٢ ، ج٩ (الدر الفاخر)، ص٢٠٥، ١٩٠، ٣٢٨.

(٣) انظر مثلاً : المصدر نفسه، ج٨ (الدرة الزكية)، ص١٣٤، ٢٦٧، ٣٦٤، ج٩(الدر الفاخر)، ص ٨٠، ١٠٠ ، ٢١٦ .

(٤) انظر : الفصل الثاني من هذا الدراسة .

(٥) كنز الدرر، ج١(الدرة العليا)، ص٣١.

(٦) المصدر نفسه ، ج٨(الدرة الزكية)، ص٩٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٨(الدرة الزكية)، ص١٤٦.

كما اعتمد على الطريقة غير المباشرة في نقله للمصادر، بقوله :" **وقال أحمد بإسناده عن ابن مسعود، قال...**"[١]، و "**حدث الشيخ الصالح العالم العامل الشيخ شمس الدين محمد بن قوام ...لوالدي ... وانا اسمع**"[٢].

وأشار أيضاً باعتمادهِ على الموارد كالمسامعة والمشافهة من المعاصرين له او القريبين من عصره، كقوله : (حدثني الملك الكامل رحمه الله)، و" **سمعت الشيخ عمر يقول ...**"[٣].

فضلاً عن إشارته إلى اعتماده على كتب نادرة لم تصل إلينا، على سبيل المثال : كتاب باللغة التركية (الواى أطام بتكى) معناه (كتاب الأب الكبير)[٤].

سابعاً : اعتماده مصدراً تاريخيّاً

على الرغم من اعتماد ابن أيبك الدواداري على مصادر المؤرخين السابقين والمتقدمين في تدوين مادة كتابه، إلا أن المؤرخين المعاصرين له ،لم يعتمدوا على كتابه في تدوينهم للأحداث التاريخية، على الرغم من اهمية موسوعته التي شملت منذ بدء الخليقة الى العصر المملوكي الذي عاش فيه وبيّنا سبب ذلك سابقاً، إلا اننا نجد بعض المؤرخين اللاحقين اعتمدوا عليه مصدراً من مصادرهم التاريخية وابرزهم :

١ـ المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)

نقل المقريزي في كتابه (الخطط)، بعض الأحداث والأخبار، إذ ذكر أنّه نقل، احدى حوادث عام ستة واربعمائة من كتاب كنز الدرر[٥].

---

(١) كنز الدرر، ج١(الدرة العليا)، ص٦٩.

(٢) المصدر نفسه ،ج٨(الدرة العليا)، ص٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه ،ج٩ (الدر الفاخر)،ص١٤٩ ،١٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٧(الدر المطلوب)، ص٢١٨.

(٥) الخطط، ج٢ ،٢٧٣.

٢- ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ /١٤٦٩م)

نقل في كتابه (النجوم الزاهرة) مثلا قال ما ذكره صاحب كنز الدرر: " **في اليوم : مائتا خروف كبار، ومائه خروف رميس، ومائتا [كذا] و خمسون اوزة، وخمسمائة دجاج، وألف طير من الحمام...**"(١).

كما نجد أنّ المؤرخين المحدثين اعتمدوا على موسوعته، ولاسيما عند تحقيقهم للمخطوطات التاريخية، إذ اعتمد عمر عبد السلام تدمري محقق كتاب البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، للأصفهاني (ت٥٩٧هـ /١٢٠١م) على جزء من درته وهو: (الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية)، واحداً من المصادر التي افاد منها كثيراً بقوله: " **وقد أفدنا كثيرا – بدورنا– من كتاب (ابن أيبك) إذ يصحح بعض الأخطاء الواردة في مخطوطتي (البستان)** "(٢).

كما اعتمد المحقق نفسُهُ (عمر عبد السلام تدمري) في تحقيق كتاب(نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك) للعباسي الصفدي(ت٧١٧هـ /١٣١٧م)، على كتاب (كنز الدرر وجامع الغرر) في تعزيز وتأييد روايات الصفدي، ومنها على سبيل المثال، ذكر الأخير معايشته للمجاعات التي حدثت في مصر عام٦٩٤هـ/١٢٩٥ ومشاهدته عيانا لإحدى النساء وهي تأكل من لحم زوجها، وان ابن أيبك ذكر خبراً مشابهاً لهذا الخبر من مشاهداته الشخصية، وهنا عزز المحقق صدق رواية المؤلف(٣) .

---

(١) النجوم الزاهرة، ج٤ ، ص٩.

(٢) مقدمة تحقيق ، **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان** ، ط١(بيروت: المكتبة العصرية ،١٤٢٣هـ ،٢٠٠٢م)،ص١٤ .

(٣) مقدمة تحقيق ، نزهة المالك والمملوك، ص١٣.